

القصة الكاملة لحياة كرستين كيلر

الجاسوس العارى

د. السيد أبو مسلم



الجاسوس العارى

الناشـــر : **مكتبة مدبـولى الصغير**

٤٥ شـارع البطـل أحمـد عبد العزيـز

تليفون : ٣٤٧٧٤١٠ ـ ٣٤٤٢٢٥٠

ميدان سفنكس ت : ٣٤٦٣٥٣٥

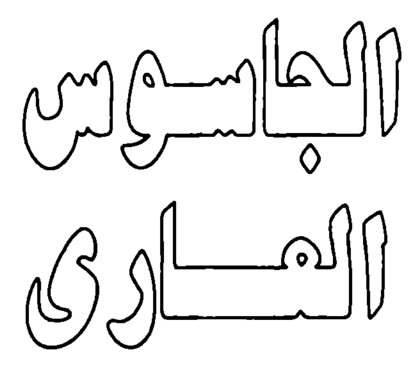
رقـم الإيـداع : ٩٣١١/ ٩٥

الطبعة الأولى : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م

المدير الفنى : محمد الصباغ

خطوط الغلاف : لمعى فهيم

المراجعة اللغوية : سيد عبد المعطى



الجاسوس العارى

القصة الكاملة
لحياة
كريستين كيلر

د. السيد أبو مسلم

الناشر: مدبولى الصغير

تقديم

أشهر فضيحة سياسية فى القرن العشرين يفتح ملفها من جديد لتعود إلى الأضواء مرة أخرى بكل ما شهدته من صراع بين السياسة والانحراف والتجسس والخلافات السياسية.. فضيحة امتزجت بالأكاذيب وكشفت عن الفساد الذى يختفى وراء واجهة المظاهر.. فضيحة كريستين كيلر هى فضيحة فتاة الليل اللعوب التى أطاحت بوزير الحرب البريطانى البارز جون بروفيمو وأدت فى النهاية إلى استقالة حكومة هارولد ماكميلان ودفعت حزب المحافظين لسنوات فى الظل. بدأت الأحداث بست طلقات دوت ليلا فى أحد الأحياء الهادئة فى لندن وانتهت بتحطيم حكومة بأكملها.

تعود الفضيحة إلى الأضواء بمناسبة صدور كتاب «الجاسوس العارى» الذى يروى فيه الملحق العسكرى السوفيتى أوجين إيفانوف تفاصيل دوره كأحد الشخصيات الرئيسية فى هذه الفضيحة، منذ أول لقاء بينه وبين وزير الحرب جون بروفيمو وكريستين كيلر فى حمام السباحة بقصر اللورد استور وكيف استغل كريستين للإيقاع بوزير الحرب واختراق أسرار حلف شمال الأطلسى لمعرفة الأسرار حول تزويد بريطانيا لألمانيا بالصواريخ الذرية عام ١٩٦٢.

الفصل الأول

فتاة لعوب تفجر أخطـر فضائـح القــرن العشرين

اختراق أسرار «شمال الأطلسى» وملف التسليح النووى البريطانى لألمانيا

فى أحد أيام شهر ديسمبر الباردة عام ١٩٦٢ وقفت سيارة أجرة صغيرة أمام منزل من المنازل الأنيقة فى شارع هارلى بمنطقة وينبول نيوز غرب لندن وهو شارع اشتهر بأنه شارع الأطباء.. ونزل من السيارة شاب أسمر من أبناء جزر الهند الغربية المقيمين فى انجلترا ثم طلب من السائق أن ينتظر.. وضغط على جرس الباب لتفتح له شقراء فى الثامنة عشرة من عمرها هى «مارلين ديفيز» ليسألها عن زميلتها وصديقتها «كريستين».

أنكرت مارلين وجود صديقتها وأغلقت الباب فى وجهه بعنف.. وعندما رجع عائداً إلى سيارة الأجرة رفع بصره نحو نافذة البيت، فشاهد مارلين وكريستين تطلان سويا من النافذة لتتأكدا من انصرافه.. فصرف الشاب السيارة ورجع غاضبا ناحية المسكن ليطلق على الباب ثلاث طلقات وطلقتين أخريين على إحدى النوافذ التى كانت تطل منها الفتاتان وقبل أن ينصرف أطلق طلقة سادسة..

طلقة الأحداث الهامة

إن الكثير من الأحداث الهامة تبدأ بطلقات نارية تحول مجرى التاريخ.. فالحرب العالمية الأولى بدأت بطلقة قتلت الأرشيدوق النمساوى.. وكذلك تلك الطلقات التى أطلقها ذلك الشاب الأسمر الذى كان يدعى «جون آرثر إيدجكومب».. فرغم أن طلقاته لم تصب مارلين ديفيز أو صديقتها الحسناء كريستين كيلر، إلا أن هذه الطلقات جعلت من هذا الرجل شخصية يتردد اسمها فى كل أجهزة الإعلام فى أوروبا بأكملها.. كما كان سببا فى القضاء على المستقبل السياسى لواحد من أهم الوزراء فى الحكومة البريطانية فى ذلك الوقت وهو وزير الحرب وحامى حمى الإمبراطورية البريطانية

وعضو البرلمان جون دينيس بروفيمو والذى كان يحمل أيضا لقباً شرفياً بحكم منصبه كسكرتير صاحبة الجلالة للشئون العسكرية.

الطلقات الست التى أطلقها «جون» قاصداً إصابة الحسناء الهيفاء كريستين كيلر لم تحطم مستقبل هذا الوزير فحسب بل حطمت أكبر الأحزاب السياسية فى بريطانيا وهو حزب المحافظين بعد ست سنوات من الحكم قضاها «هارولد ماكميلان» رئيسا لوزراء بريطانيا.. فسقط الحزب سقوطا مخزيا فى الانتخابات التالية بسبب الفضيحة والعار الذى ألحقته به الفضيحة الشهيرة التى عرفت باسم «فضيحة كريستين كيلر».

ملف الضربة القاضية

قد لانود أن نستبق الأحداث.. ولكن خلفية الأحداث السياسية والعداء التقليدى بين حزبى المحافظين والعمال فى بريطانيا قد ساعد بدوره فى تفجير هذه الفضيحة التى حركها فى مجلس العموم البريطانى الكولونيل «جورج ويغ» عضو البرلمان العمالى، الذى كان كثيرا ماينتقد وزير الحرب وينسب إليه التقصير فى تعزيز القوات البريطانية التى ترسل فى مهام فى أنحاء العالم..

وكان ويغ هو الذى أعد الملف الذى حمله رئيس حزبه وزعيم المعارضة فى ذلك الوقت «هارولد ويلسون» ليقف فى مجلس العموم البريطانى منددا بمسلك الوزير «بروفيمو» على مشهد من أعضاء البرلمان بعدما توافرت عناصر الفضيحة ليوجه الضربة القاضية لخصمه اللدود حزب المحافظين.

قبل ستة أشهر من إطلاق جون آرثر الطلقات الست الشهيرة كان أول

لقاء بين وزير الحرب البريطانى جون بروفيمو والحسناء المدللة كريستين كيلر، وهو اللقاء الذى أطاح بصوابه.. والمعروف عنه البحث عن الجمال والمتعة رغم أنه كان متزوجا من إحدى نجمات السينما الممثلة السابقة «فاليرى هوسبون».

ظروف اللقاء الأول

أما ظروف ذلك اللقاء فكانت عندما اصطحب الدكتور «ستيفن وارد» نجم المجتمع البريطانى تلك الحسناء لتناول الغداء فى القصر الريفى لأحد الشخصيات الإنجليزية الشهيرة اللورد «استور» بمنطقة كليغدن.. والدكتور ستيفن من أشهر أطباء العظام، سبق أن تولى علاج المشاهير مثل سير ونستون تشرشل وإليزابيث تيلور والمليونير بول جيتى إلى جانب أنه فنان مرموق سبق أن رسم لوحات لبعض أفراد الأسرة المالكة والشخصيات الشهيرة فى بريطانيا..

كان من ضيوف ذلك الحفل وزير الحرب جون بروفيمو وزوجته.. وكانت هناك لمسات خفية ومداعبات بين الوزير وتلك الحسناء خاصة عندما اصطحبها فى نزهة مسائية فى أرجاء حدائق المزرعة.. وقضى الضيوف ليلتهم فى ضيافة اللورد استور وفى الصباح كانت هناك سيارة سوداء رسمية هى سيارة القومندان «أوجين إيفانوف» الملحق البحرى السوفيتى من بين الضيوف فى تلك الليلة.

هكذا التقى وزير الحرب فى الحكومة البريطانية مع الملحق البحرى السوفيتى وبقية الضيوف الذين قضوا ساعات يتمتعون فيها بالسباحة وفى

مناخ ماجن حرص خلاله جون بروفيمو ألا يبتعد كثيرا عن تلك الحسناء التى أدارت رأسه.

العشـــيقة

منذ ذلك اللقاء أصبحت كريستين كيلر عشيقة لوزير الحرب البريطانى جـون بروفـيـمـو.. فلم يستطع وقـد قـارب الخـمـسين أن يقـاوم إغـراء ابنة العشرين ربيعا التى كان كثيرا ما يدس فى يدها مبلغا من المال هدية منه لوالدتها التى لم يكن يعرفـها فى طريقـة مـهـذبة لدفع أجـر هذه اللقـاءات الآثمة.. وكانت لقاءاتهما عادة تجرى فى مسكن الطبيب وارد، حيث كانت كـريستين وصـديقـتـهـا مـارلين تقـيـمـان بشكل دائم به ويتـوجـه إليـهـا جـون بروفيمو أثناء غـيـاب الطبـيب فى عـيـادتـه بنفس المسكن دون أن يدرى بما كان يحدث.

ففى كثـير من الأحـيـان وقبل أن يصل وزير الحـرب إلى منزل الطبـيب لمقابلة عشيقتـه يكون قد انصرف قبله بلحظات الملحق البحـرى إيفانوف، وهو مـوقف كـانت تضحك منه الفـتـاتان سـرا ضحكات سـخـريـة من ذلك الموقف المتناقض.

زيارة مفاجئة

لم يكن وزير الحـرب البـريطانى يعرف أيضـا أن الدكـتـور سـتـيـفن كـان مـوضع شكوك المخـابرات البـريطانيـة التى لم تكن تنظر بارتيـاح لصـداقـتـه للملحق البحرى السوفيتى.

وفى ذات مرة وأثناء زيارة بروفيمو لكيلر فى شقة الطبيب دق جرس الباب وفتحت كريستين لتستقبل رجلا لم يكن يتمنى جون بروفيمو أن يلتقى به فى هذه الظروف.. فقد كان ذلك الضيف هو «سير نورمان بروك» الذى كان يشغل منصب سكرتير عام مجلس الوزراء الذى فوجىء بروفيمو بزيارته لهذا المكان ليبلغه أنه من غير المفضل أن يواصل صداقته بالدكتور ستيفن الذى عرف بأنه صديق للسوفييت.

خطاب قصير

فى اليوم التالى لسماعه لهذه النصيحة أدرك وزير الحرب مغزاها وكتب خطابا قصيرا لكريستين ليقول فى أسطر قليلة إنه يعتذر عن موعد لقائهما فى اليوم التالى.. هذا الخطاب القصير الذى أصبح فيما بعد المسمار الأخير فى نعش المستقبل السياسى لذلك الوزير. لم يقصد جون بروفيمو بذلك أن يقطع علاقته تماما بكريستين.. فعلاقته بها استمرت ولكن فى قلق وتوتر منذ أن زاره سير «نورمان بروك» سكرتير مجلس الوزراء ورئيس جهاز الأمن..

ولم يعد يصطحبها إلى الأماكن العامة كالملاهى والمطاعم مكتفيا بأن يصطحبها فى سيارة صغيرة ليخرج معها فى جولات بالمناطق البعيدة.. وذكرت كريستين كيلر بعد ذلك أنه اصطحبها مرة إلى منزله عندما كانت زوجته متغيبة لزيارة أقارب لها فى أيرلندا بعد موعد نوم الخدم..

وقالت أيضا إنه حاول كثيرا أن يقنعها بأن تقيم فى مسكن آخر خلاف شقة الدكتور وارد.

كان من الممكن ألا ينظر إلى العلاقة إلا باعتبارها علاقة بين عشيقين

لولا وجود شخصيات مثل الدكتور ستيفن والملحق البحرى إيفانوف فى الصورة.. فوجودهما كان يعنى أخطاراً تهدد الأمن القومى لبريطانيا بأكملها.

لم يكن جون بروفيمو يعرف أنه بالإضافة إلى إدارة المخابرات البريطانية كانت الشرطة السرية تعرف أيضا بأمر هذه العلاقة.. وكان من الممكن إلى جانب ذلك أن تظل الأحداث سرا من أسرار أجهزة الأمن لولا تلك الطلقات الست التى أطلقها الزنجى جون آرثر على نافذة الدكتور ستيفن وارد يوم ١٤ ديسمبر.. فقد كان ذلك الزنجى أحد الأطراف الخفية فى تلك الفضيحة التى لم يكن وزير الحرب يدرك أبعادها الحقيقية..

للصحافة فى بريطانيا أنفها الحساس الذى يشتم الفضائح، فحتى قبل واقعة إطلاق النار كانت هناك شائعات اشتمها أنف الصحافة، وكانت هناك همسات التقطتها آذانها.. وكان أول مانشر من تلميحات بهذا الشأن مقالاً صغيراً نشر فى مجلة «ذاكوين» يقول فيه الكاتب المختص بالشائعات فى أسطر قليلة:

«أود أن أعرف إلى أين ستنتهى الأحداث؟.. ففى بيت أحد المشاهير ما إن تغادر سيارة روسية من نوع زيج بابه الأمامى حتى تصل سيارة فاخرة يقودها سائق فى زى رسمى لأحد الكبار فى الدولة والذى ينزل منها ليدخل نفس المنزل الذى تركته تلك الشخصية السوفيتية».

لم يفصح الكاتب عن مقصوده.. ولم يدل بتفاصيل أكثر من ذلك.. ولم يعرف أحد شيئا عن فضيحة جون بروفيمو حتى كتب عن أقوال الزنجى الذى أطلق النار عندما قال فى بضع صفحات نشرت له أثناء وجوده بالسجن رهن المحاكمة تفاصيل عن علاقته بكريستين كيلر التى كانت

عشيقته لفترة .. وأخذ يذكر تفاصيل عن حياتها كفتاة فقيرة مولعة بإيقاع الأغنياء والمشاهير فى شباكها .. ولكنه لم يذكر شيئا عن جون بروفيمو فيما نشر له بإحدى الصحف.

أما الكولونيل «جورج ويغ» عضو البرلمان العمالى والعدو التقليدى لجون بروفيمو فكان قد تلقى مكالمة تليفونية من مجهول يبلغه فيها عن العلاقة الغرامية بين وزير الحرب البريطانى وعلاقته بفتاة وهى علاقة من شأنها أن تعرض الأمن القومى لبريطانيا للخطر.

وبعد هذا الاتصال بثلاثة أسابيع كانت واقعة إطلاق النار على منزل الدكتور ستيفن وارد .. وهى واقعة لم تثر الكثير من الانتباه باستثناء أنها محاولة لإطلاق النار على حسناوين من الحسان اللاتى تنشر الصحف أخبارهن .. ولكن نشرت الصحف كذلك بعض أقوال الشاب الزنجى جون آرثر الذى دفعته الغيرة إلى إطلاق النار على كريستين كيلر عندما أرادت أن تنهى علاقتها به.

قدم الشاب للمحاكمة فى الوقت الذى بدأ الاهتمام يتزايد بكريستين خاصة بسبب مانشر عن علاقتها بالمشاهير .. وتلك أمور تعد من الفضائح التى تلهث الصحافة البريطانية خلفها.

كانت كريستين كيلر من بنات الليل يغريها الثراء ويستهويها المال .. وجدت الفرصة متاحة لها لكى تحقق كسبا كبيرا من هذه الفضيحة، فتحت يدها خطاب من جون بروفيمو يستهل بكلمة «حبيبتى» .. فبدأت تساوم على بيعه .. فهى تعرف المشترين .. فتلك سلعة تدفع فيها الصحافة البريطانية آلاف الجنيهات وخاصة أنها بدأت تلمح عن علاقتها الخاصة، مشيرة إلى وزير الحرب البريطانى جون بروفيمو والملحق البحرى السوفيتى «أوجين

إيفانوف» وسرعان ما تبينت مجموعة صحف «ميرور» أنها وقعت على أكبر ضربة صحافية يمكن أن تضاعف من توزيعها..

دارت مفاوضات بين صحيفة صنداى ميرور وكريستين كيلر التى اشترت منها هذه القصة وخطاب الوزير ودفعت الصحيفة لها ٢٠٠٠ جنيه.. ولكن الجريدة سرعان ما تبينت خطورة نشر هذه الفضيحة بسبب تلك الزوبعة التى كانت قد أثارتها الحكومة وزجت باثنين من الصحافيين بالسجن فى الأحداث المتعلقة بضبط الجاسوس «فاسال»، عندما رفض الصحافيان الإفصاح عن مصادر معلوماتهما.. وفضل المسئولون عن هذه الجريدة ألا يفجروا هذه القضية.

فى ١٧ يناير ١٩٦٣ مثل جون آرثر أمام محكمة أولد بيلى وقد اتهم بأربعة اتهامات، أهمها الشروع فى القتل وإحراز سلاح بدون ترخيص.. وحضرت كريستين كيلر لأداء الشهادة.. وفى اليوم التالى كان القومندان «أوجين إيفانوف» الملحق البحرى بالسفارة السوفيتية فى لندن يستقل الطائرة من مطار هيثرو ليعود فى هدوء إلى روسيا.

فى نفس الوقت كانت هناك زوبعة فى شارع فليت ـ وهو شارع الصحافة ـ إذ كان الصحافيون لا يعرفون كيف يكتمون أنفاسهم أو يتحكمون فى أعصابهم فى محاولة يائسة منهم لكبت انفعالاتهم وحماسهم لتفجير هذه الفضيحة.. فمجموعة صحف ميرور مازالت تود أن تضرب ضربتها وتنشر أخبار الفضيحة التى تعرفها.. وكان الحل الوسط هو نشر بعض التلميحات عن وجود بعض الصور الفوتوغرافية والمستندات التى تشير إلى علاقة وزير الحرب البريطانى بإحدى الفتاتين المجنى عليهما فى حادث إطلاق النار الأخير..

إصرار على الإنكار

فى ٢٦ يناير عام ١٩٦٣ استجوبت الشرطة كريستين كيلر عن معلوماتها فى حادث إطلاق النار، وقالت أثناء استجوابها الكثير.. وإن كان من أخطر ما قالته أنها عندما كانت ترتب لأحد لقاءاتها مع الوزير بروفيمو طلب منها الدكتور ستيفن أن تحاول الحصول على معلومات من الوزير البريطانى عن أمور تتعلق بالأسرار الذرية وعما أعطته بريطانيا من سلاح ذرى لألمانيا الغربية.

ونظرا لخطورة هذه المعلومات نقلت إلى المدعى العام البريطانى سير «جون هبسون» الذى قام على الفور بالاتصال بوزير الحرب جون بروفيمو ليرتب للقاء معه.

وأثناء اللقاء بين الرجلين أكد له بروفيمو أن مثل هذه الأقوال لا أساس لها من الصحة.. وأنكر علاقته الخاصة بكريستين.. وإزاء إصراره على الإنكار قال له المدعى العام البريطانى إنه مادام واثقا من أقواله، فإنه على استعداد لمقاضاة كل من يروج هذه الشائعات عن علاقته بكريستين.. ولكنه قبل أن يتركه نصحه بأن يستشير محاميه الخاص «ديريك كلوج».

تقابل جون بروفيمو مع محاميه ديريك كلوج ليقنعه بدوره ببراءته من هذه التهم.. وأكد له محاميه عندئذ أنه سيقاضى مروجى مثل هذه الشائعات ويوجه إليهم تهمة القذف.

واعتقد الجميع فى براءة الوزير حتى كان يوم ١٣ مارس.

وهو الموعد الذى تحدد لمحاكمة الشاب الزنجى ليمثل أمام محكمة أولد بيلى للنظر فى التهم الموجهة إليه..

الفصل الثانى

كريستين تهرب لأسبانيا وتدلى بأقوال متناقضة

الصحافة البريطانية تلتزم الحذر..
وصحف روما وباريس تبرز العملية

بدأت محاكمة جون آرثر ايدجكومب باستدعاء كريستين كيلر باعتبارها الشاهدة الرئيسية فى تهمة الشروع فى القتل.. وفوجىء الحاضرون ورجال الصحافة بأن الشاهدة الرئيسية لممثل الاتهام لم تحضر المحاكمة، مما خيب آمال رجال الصحافة الذين كانوا يتوقعون حضورها لتكون أقوالها بداية ومبرراً لهم ومستنداً يستندون إليه لتفجير الفضيحة التى كانوا يعرفون تفصيلاتها، خاصة مجموعة ميرور التى تحتفظ بخطاب الوزير لعشيقته.. وخرجت الصحف تحمل عنواناً رئيسياً هو «الشاهدة الغائبة».

جون.. والسجن

فى اليوم التالى صدر قرار المحكمة ببراءة جون من تهمة الشروع فى القتل ولكنها أدانته بتهمة إحراز سلاح بدون ترخيص بقصد تهديد حياة الآخرين وحكمت عليه بالسجن سبع سنوات.. ولكن كانت هناك قضية أخرى على المحكمة أن تنظرها لمحاكمة نفس المتهم بتهمة الاعتداء على شخص آخر يدعى الوسيوس جوردون، وشهرته «لاكى». ونسب إلى جون الاعتداء عليه بسكين أحدث به إصابات، وكان الرجلان قد تشاجرا بسبب كريستين كيلر.. ولكن بسبب غياب الشاهدة برأته المحكمة أيضاً من هذه التهمة.

صدمة وزير الحرب

فى ١٥ مارس، وهو يوم صدور الحكم كانت جريدة «الديلى إكسبريس» قد قررت أن تضرب ضربتها الكبرى.. فنشرت على صدر صفحتها الأولى عنواناً بالأحرف الكبيرة يقول: «صدمة وزير الحرب».

وتحت هذا العنوان قالت الصحيفة إن جون بروفيمو وزير الحرب قد عرض تقديم استقالته إلى رئيس الوزراء هارولد ماكميلان لأسباب خاصة إلا أن رئيس الوزراء طلب منه البقاء فى منصبه.

ظهر الخداع الصحفى فى الأسلوب الذى أعدته هذه الصحيفة من حيث ترتيب الموضوعات بها.. فإلى جانب هذا الخبر نشرت صورة كبيرة على ثلاثة أعمدة لكريستين كيلر.. وخبراً يفيد أنها اختفت.. وكانت الصحيفة بذلك تود أن تلفت الأنظار إلى العلاقة بين الخبر والصورة.

لابد أن جون بروفيمو أصيب بالصدمة عندما فتح صفحات هذه الجريدة فى الصباح ليقرأ هذه الشائعات عن خبر استقالته.. وازدادت همومه عندما وجد الصحفيين يلاحقونه ليسألوه عن صحة الخبر الذى نفاه فى عنف مؤكداً لهم أنه كان فى اجتماع مع رئيس الوزراء يناقشان ميزانية الجيش.

هل تفضل الاستقالة ؟

لم يكن بروفيمو كاذباً فيما قرره عن لقائه مع رئيس الوزراء.. ولكن ما لم يكن يعرفه رجال الصحافة أن هارولد ماكميلان كان قد أصدر تعليماته لسكرتيره الخاص كاتم أسرار مجلس العموم البريطانى لمقابلة وزير الحرب ويسأله إذا كان يرى أنه قد يفضل أن يستقيل.. ولكن الصحافة كان لها رأى آخر.. فلم تعد تستطيع أن تتكتم الأمور أكثر من ذلك.

فالجريدة التى نشرت أول خبر مباشر حول هذا الموضوع هى جريدة شبه خاصة، يقتصر توزيعها على المشتركين فيها.. ويقتصر دورها على نشر مقتطفات تهم بعض القيادات السياسية، كما أن توزيعها محدود.. وهى

جريدة «وستمنستر كونفدنشال» التى نشرت فى ٨ مارس ١٩٦٣ خبراً موجزاً يقول إن أحد أعضاء البرلمان الإنجليزى يحاول التحقق عن تفاصيل قصة تناولها أعضاء البرلمان وأصبحت على لسان الجميع .. وهى تتعلق بفتاتين من الساقطات فى حادث إطلاق أحد الزنوج النار عليهما .. وأنه يقال إن الفتاتين تبيعان قصتهما إلى بعض الصحف ومنها صحيفة «ذا بيبول» .. وأنهما تقولان فيما ترويانه أن إحداهما لديها خطاب كتب على الأوراق الرسمية الخاصة بوزير الحرب وعليها توقيع باسمه الأول.

وتقول هذه الفتاة إن من بين زبائنها ذلك الوزير المتزوج من ممثلة سابقة وأن من زبائنها أيضاً الملحق البحرى السوفيتى الكولونيل إيفانوف .. وأنه من المرجح أن تعمد هذه الزوجة والممثلة الشهيرة السابقة إلى الطلاق من زوجها.

هذه الأخبار قد تثير أسئلة عديدة من أهمها: من هى اليد المحركة خلف تلك الفتاة للحصول على الأسرار ..؟ هل هو وزير الحرب البريطانى .. أم الملحق العسكرى السوفيتى؟ تلك الإجابة التى تحاول أجهزة الأمن الإجابة عنها.

أما عضو البرلمان الذى أشارت إليه هذه الصحيفة فى خبرها فكان فى الواقع هو العدو اللدود لوزير الحرب الكولونيل جورج ويغ.

لم يحن الوقت

عرض هذا الخبر بطبيعة الحال على رئيس الوزراء هارولد ماكميلان الذى استشار بشأنه المدعى العام البريطانى سير جون هسبرن؛ الذى كان

يسأله حول إمكان مقاضاة هذه الجريدة لنشرها هذه الأخبار التى تمس سمعة وزيره .. ولكن المدعى العام البريطانى أجاب رئيس الوزراء بأن هذه الجريدة توزع توزيعاً محدوداً ولعل الوقت لم يحن بعد لاتخاذ إجراء بشأنها.

كان التحرك التالى فى هذا الموضوع من الكولونيل ويغ الذى لم يكن قد توقف عن البحث والتنقيب حول علاقة جون بروفيمو بكريستين كيلر؛ تلك العلاقة التى رأى فيها تهديداً خطيراً لأمن البلاد.. وقرر عندئذ أنه لابد أن يتخذ خطوة إيجابية.. فحمل الملف الذى جمع فيه المعلومات حول هذا الموضوع وتوجه به إلى رئيسه وهو زعيم المعارضة هارولد ويلسون.

دار بينهما نقاش مستفيض حول مايجب أن يتبع فى هذا الموضوع حتى كان يوم ٢١ مارس، وهو اليوم الذى كان يجرى فيه نقاش حاد حول موضوع الصحافيين اللذين أودعا السجن لإصرارهما على عدم كشف مصدر معلوماتهما فى قضية التجسس الشهيرة للجاسوس الإنجليزى «فاسال».

الرأى العام

فى هذه الجلسة الساخنة وقف عضو البرلمان الكولونيل ويغ يتحدث معلقاً على الشائعات التى تسئ إلى مكانة الشخصيات الحكومية فيما يتعلق بما نسب لهذين الصحافيين موضوع النقاش.. واستطرد إلى موضوع آخر أشد حرارة.. ولعله اتخذ موضوع النقاش حول الشائعات وأثرها مدخلاً له ليفجر قنبلته ليقول:

- إن الحديث عن الشائعات التى تنال من الشخصيات المهمة يدعونى

إلى التحدث عن شخصية لها مكانتها.. وهو ليس من رجال الصحافة بل عضو مهم فى الحكومة.. فقد ترددت بشأنه شائعات قد تفوق فى أهميتها تلك المتعلقة بقضية الصحافيين.. كما أن مصير ذلك المسئول من أعضاء الحكومة الآن فى يد الصحافة صاحبة الأمر والنهى فى الرأى العام الجماهيرى.. ومازال من بيدهم الأمر فى هذه الشائعة يترددون فى كشفها.. ولم تواتهم الشجاعة للإفصاح عما فى جعبتهم.

الإجراء المطلوب

واصل عضو البرلمان خطابه النارى ليقول:

- أما أنا فإننى أستعمل حقى كعضو بمجلس العموم البريطانى بأن أطلب من وزير الداخلية أن يتحدث إلينا بشأن الشائعات التى يعرفها والمتعلقة بحادث إطلاق أحد أبناء الهند الغربية النار على الآنستين كريستين كيلر ومارلين رايزديفيز.. وأطلب من رئيس الوزراء أن يتخذ إزاء هذا الموضوع الإجراء الذى لم يتخذ فى موضوع الصحافيين اللذين أدينا لعدم كشفهما الأسرار عن معلوماتهما فى قضية الجاسوس فاسال، وهو الذى أمر بتكوين لجنة لتقصى الحقائق من شأنها أن تبرئ ساحة أحد وزرائه من الشائعات التى تلطخه والتى انتشرت انتشاراً واسعاً هذه الأيام.

لقى كلام الكولونيل جورج ويغ تأييد عدد كبير من أعضاء مجلس العموم البريطانى، كما أحدث تصريحه دوياً فى الحكومة البريطانية حتى أن هارولد ماكميلان أصر قبل مغادرته مجلس العموم البريطانى أن يتصل بالمسئولين عن الشئون القانونية، يطلب معلومات وافية حول هذا الموضوع الذى أثاره ويغ، وليلح أيضاً على ضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لمقاضاة

من يروجون الشائعات.. ولكن رئيس الوزراء كان قد انتهى أيضاً إلى قرار مهم، وهو أن وزير الحرب البريطانى جون بروفيمو عليه أن يدلى ببيان شخصى أمام المجلس فى هذا الشأن فى جلسة صباح يوم الجمعة ٢٢ مارس ١٩٦٣.

حبيبتى...

أوقظ جون بروفيمو من نومه واستدعى على عجل إلى مجلس العموم البريطانى.. فاصطحب معه محاميه ديريك كلوك ليحضر اجتماعاً فى الساعات المبكرة من الصباح ليجيب عن أسئلة سبعة من كبار المسئولين الحكوميين والحزبيين.. وسئل فى هذا اللقاء عن رأيه فيما تردد من أنه أرسل خطاباً إلى كريستين فى ٩ أغسطس ١٩٦١.. وأن خطابه لها قد استهل بكلمة «حبيبتى».. ذلك الخطاب الذى لم يكن قد رآه بالفعل أى من المسئولين السبعة الذين كانوا يسألونه.

أجابهم وزير الحرب جون بروفيمو فى برود قائلاً: إنه ليس من الغريب استخدام مثل هذا اللفظ.. فهو لفظ دارج يتداوله كل من فى محيطه ومن نفس وسطه.. وأنه يستعمل مثل هذا اللفظ هو وزوجته فى مخاطبة الآخرين دون أن يكون فى ذلك بالضرورة مغزى خاص.

تبادل الرجال السبعة النظرات وهم لايصدقون ما يسمعونه.. ولكنهم إزاء إصراره، سألوه إذا كان مستعداً لمقاضاة من يروج هذه الشائعات عنه، فقال إنه مستعد لذلك.. وإزاء الإصرار صدقوه وأخذوا أقواله باعتبار أنها الحقيقة وهم يعرفون أن الخطاب موضوع هذا النقاش فى أيدى الصحافة.

مواجهة مجلس العموم

تم عرض نتيجة الاجتماع على هارولد ماكميلان.. وفى صباح يوم الجمعة ٢٢ مارس، وهو الموعد المحدد لإلقاء الوزير بيانه أمام البرلمان الإنجليزى وقف شاحباً ليخاطب المجلس موجهاً حديثه إلى رئيس المجلس قائلاً:

- أستأذنك ياسيدى لأنى أرغب فى الإدلاء ببيان شخصى..

أيها السادة أعضاء المجلس؛ لقد أثيرت مؤخراً دعاوى عن أشخاص لهم مراكز مرموقة ولهم علاقة بإخفاء وإعاقة سير العدالة واختفاء الشهود.. وقد زج باسمى فى شائعات تتعلق باختفاء شاهدة تدعى الآنسة كيلر.. وأريد أن أعبر عن وجهة نظرى تجاه هذا الموضوع.

التقيت بالآنسة كيلر فى ديسمبر ١٩٦١ ولم أرها بعد ذلك.. ولا أعرف أين هى الآن.. لذا فإن كل ما يقال عن أن لى علاقة باختفائها أو تخلفها عن الحضور لأداء الشهادة فى محكمة أولد بيلى فهو قول عار عن الحقيقة ولا أساس له من الصحة..

لقد التقيت أنا وزوجتى بهذه الآنسة فى حفل عام ١٩٦١، حضره عدد كبير من الضيوف ومن بينهم الدكتور ستيفن وارد الذى أعرفه معرفة شخصية وكذلك السيد إيفانوف الذى كان ملحقاً بالسفارة السوفيتية.

ولم أكن قد التقيت بهذا الملحق إلا لدقائق معدودة عند حضورى حفل استقبال بالسفارة السوفيتية.. ثم كانت لى عدة زيارات للدكتور ستيفن مابين يوليو وديسمبر ١٩٦١ .. وفى المرات التى كنت أزوره فيها كنت ألتقى بالآنسة كيلر بين الضيوف فى منزل الدكتور ستيفن؛ وخلال هذه الفترة

صارت علاقتى بها علاقة صداقة عادية؛ وأؤكد ألا شوائب وراءها.. وإننى أقول هذه الحقائق رداً على ما أثير فى هذا المجلس وما ذكره ثلاثة من الأعضاء المحترمين. أود أن أضيف أننى لن أتردد فى مقاضاة من يروجون الشائعات عنى وينسبون إلىّ فضائح واتهامات عارية عن الصحة.

تصفيق...

كان فى شرفة الزوار بمجلس العموم البريطانى فى ذلك الوقت زوجته الممثلة السابقة فاليرى هوسبون تجلس بين الصفوة الذين يدعون كضيوف للاستماع إلى جلسات المجلس..

أما فى الصفوف الأمامية وإلى جوار جون بروفيمو الذى كان يقرأ ذلك التصريح، كان هارولد ماكميلان يجلس مستمعاً إليه فى اهتمام.. وما إن انتهى من إلقاء بيانه حتى صفق له رئيس الوزراء ثم ربت على كتفه فى إعزاز بما يؤكد ثقته فى وزيره.

ولم يعقب إلقاء هذا البيان أية مناقشات حوله؛ فهذا ما تقضى به تقاليد مجلس العموم البريطانى.. وخرج جون بروفيمو بعد إلقاء بيانه متأبطاً ذراع زوجته التى اصطحبها بعد ذلك لمشاهدة أحد سباقات الخيل وهو يعتقد أن اليوم هو أسعد أيام حياته.

كيلر فى أسبانيا...

لم تستمر سعادة بروفيمو طويلاً بعد قضائه يوماً يشاهد سباق الخيل مع زوجته، كما أن إنكاره وتهديداته بمقاضاة مروجى هذه الشائعات لم يحل

دون تطور الأحداث التى كانت قد خرجت عن مجال سيطرته ونفوذه. فالصحافة البريطانية قد انفتحت شهيتها لهذه الفضيحة وراحت تلاحق كريستين كيلر التى عرف- فيما نشرته بعض الصحف البريطانية والأوروبية - أنها تركت إنجلترا وأنها فى اليوم الذى كان من المفروض فيه أن تحضر لمحكمة أولد بيلى كشاهدة فى قضية الزنجى إيدجكومب، كانت تتمتع بركوب أحد البغال فى نزهة على شاطئ التيا فى جنوب أسبانيا.

وأثناء عودتها إلى مدريد تصيدت فى طريقها اثنين من مصارعى الثيران. أجرى أحد مراسلى صحيفة «الديلى إكسبريس» مقابلة معها حول رحلتها السياحية.. وفى هذه المقابلة أيدت ما قاله جون بروفيمو فى بيانه البرلمانى من أنه ليس هناك علاقة مشينة بينها وبين الوزير.

عندما أجرى معها مراسل للتليفزيون حواراً آخر بعد ذلك، أدلت برواية مختلفة وقالت فى هذه المرة إنها كانت عشيقة ذلك الوزير.

الصحف الأوروبية..

كانت الصحافة فى بريطانيا مازالت متحفظة ومترددة بسبب البيان التهديدى الذى ألقاه وزير الحرب فى البرلمان ولا تود أن تخاطر بنشر مواد تؤدى بها إلى المحاكم.. ولم تكن مستعدة أيضاً لدفع التعويضات الكبيرة التى قد يطالب بها الوزير وفضلت عدم نشر شىء.. أما الأوضاع بالنسبة للصحافة الأوروبية فكانت مختلفة.. كما كانت أكثر جرأة.. فقد نشرت بعض الصحف الإيطالية تقارير عن هذه الأحداث مشيرة إلى العلاقة بين الوزير بروفيمو وكريستين كيلر خاصة الصحيفة الإيطالية «تمبو اليستراتو» والمجلة الفرنسية الأسبوعية «بارى ماتش» أكثر الصحف الفرنسية توزيعاً،

فقد نشرتا صوراً وأخباراً عن العلاقة بين وزير الحرب البريطانى وكريستين كيلر، ولم يتردد جون بروفيمو فى رفع دعوى القذف ضدهما.

وتمت تسوية الأمر مع الجريدة الإيطالية التى وافقت على دفع تكلفة القضية ودفع تعويض قدره خمسون جنيهاً، قبلها بروفيمو وتبرع بها كصدقة للجيش.. أما مجلة «بارى ماتش» فكان لها موقف آخر.. فقد كانت غير مكترثة بالقضية التى رفعها الوزير مؤكدة أن ما نشر هو الحقيقة.. وفضل جون بروفيمو إسقاط الدعوى ضد المجلة لتجنب الفضيحة.

الاتصال المسجل..

أما الكولونيل جورج ويغ عضو البرلمان الإنجليزى العمالى المتحمس، فقد كان مازال على حماسه حتى أنه ظهر فى برنامج بانوراما على شاشات التليفزيون البريطانى فى حوار، قال فيه إنه يعتقد أن كلاً من الدكتور ستيفن وارد والملحق البحرى الروسى إيفانوف يمثلان تهديداً لأمن البلاد.. ونتيجة لذلك اتصل الدكتور ستيفن بمجلس العموم البريطانى يطلب مقابلة الكولونيل ويغ أو يتصل به تليفونياً.

ووافق الكولونيل على الاتصال به ولكن كان قد تعمد تسجيل هذه المكالمة تليفونياً.. وفى هذا اللقاء طلب الطبيب أن يقابله.. وأخبره أنه كتب لزعيم المعارضة هارولد ويلسون موضحاً طبيعة علاقته بالملحق البحرى إيفانوف الذى طلب منه أن يتصل باللورد هيوم يطلب منه تدخل بريطانيا فى النزاع بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية بشأن كوبا.. وأن هذا الطلب نقل إلى اللورد هيوم وزير الخارجية فى ذلك الوقت.. ولكنه لم يوافق على هذا الاقتراح.

علاقات سياسية ..

بهذا ظهرت علاقات سياسية خطيرة لهذه العلاقة فى الوقت الذى أخذ فيه ويلسون زعيم المعارضة يتحدث عن هذه الفضائح التى بدأت تتصاعد حول العالم السفلى فى لندن والانحراف والمخدرات والتهديدات والابتزاز والعنف، مع تلميحات خفية إلى وزير الحرب بروفيمو والملحق السوفيتى؛ حتى أنه قال إن ما يصله من معلومات حول هذه الأمور يفوق القصص والروايات التى تباع فى الكتب الرخيصة. وسارع ويلسون برفع مذكرة بهذا الشأن إلى غريمه هارولد ماكميلان رئيس الوزراء ملمحاً إلى ما عرفه من تدخل الملحق السوفيتى لإقناع وزير الخارجية اللورد هيوم بالتدخل فى النزاع الأمريكى الروسى حول كوبا.

فى تطور آخر للأحداث عادت كريستين كيلر مرة أخرى إلى واجهات الصحف بعد أن أصبحت شخصية شهيرة لتظهر فى إحدى اللقطات وعلى عينيها نظارة سوداء بصحبة الشرطة التى كانت قد وفرت لها الحراسة من مطار هيثرو لحمايتها من أية أخطار.. وبعد أسبوع من وصولها من أسبانيا عادت أخبارها من جديد إلى الصحافة، عندما أبلغت الشرطة أنها عندما قامت بزيارة صديقة لها وخرجت إلى الشارع فوجئت بشخص يعتدى عليها بالركل والضرب مما أصابها بجرح وكدم بالعين.

وأدلت للشرطة بوصف للمعتدى وشرعت اسكتلنديارد فى البحث عنه واستعانت بكلاب لتفتيش المنطقة والشارع الذى وقع به هذا الاعتداء.. وانتهى البحث بضبط الوسيوس جوردون الشهير بلاكى وهو أحد المغنين من أبناء الهند الغربية.. وهو نفس الرجل الذى كان قد اتهمه جون إيدجكومب بالاعتداء عليه والذى كان ينافسه حول هذه الفتاة.. ووجهت

إلى لاكى تهمة الاعتداء على كريستين وقدم للمحاكمة.

اعتقال مارلين..

لم تترك الشرطة فرصة لهاتين الفتاتين كريستين كيلر ومارلين رايزديفيز اللتين فجرتا هذه الأحداث منذ أطلق الزنجى إيدجكومب النار على شقة الدكتور ستيفن، ذلك الحادث الذى كان بداية لهذه الأحداث.. فألقت القبض على مارلين رايز ديفيز وهى فى طريقها إلى مطار لندن حيث كانت تعتزم السفر إلى بالميا بجزر مايوركا لتتزوج من ابن أحد الأثرياء الأسبان.

وقد ضبطت بتهمة حيازتها لأوراق تشبه رخصة قيادة سيارة تستخدمها للإيهام والتضليل بأن لديها رخصة قيادة.. وهى تهمة حكم عليها فيها بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه استرلينى، ولم تستطع دفع هذه الغرامة طوال أسبوع بأكمله قضته فى سجن هولواى وضاعت عليها فرصة هذا الزواج، وخاصة أن الزوج المنتظر فضل ألا يرتبط بفتاة من هذا النوع.

هذه الأحداث التى وقعت لكريستين كيلر بالاعتداء عليها بالضرب ولزميلتها مارلين أثارت مرة أخرى التساؤلات عن سيرة وسمعة وزير الحرب البريطانى جون بروفيمو.. وأصبح الرأى العام فى بريطانيا قلقاً يتساءل عن سبب ارتباط الوزير بأمثال هاتين الفتاتين.

تساؤلات شعبية..

.. كما كان الرأى العام مهيأ لمتابعة هذه التطورات المثيرة خاصة بعدما

عرف عن مقاضاة الوزير للجريدة الإيطالية .. وأصبح المواطنون يتساءلون علانية عن طبيعة علاقة جون بروفيمو - أحد كبار الشخصيات فى بريطانيا - بالحسان من بنات الليل وبأولئك الفتيات اللاتى يتشاجرن مع الزنوج من أبناء الهند الغربية ومن أصحاب السوابق الجنائية .

وظلت تتردد الشائعات والأقاويل من أبناء الشعب الذين كانوا يأملون أن يضرب قادتهم المثل فى المسلك الأخلاقى . وإزاء تصاعد هذه الشائعات كانت لفرقة شرطة الآداب من إدارة اسكتلنديارد جهودها فى محاولة معرفة الحقيقة .. وتولى مفتش الشرطة صمويل هربرت مفتش الآداب التحقيق، فى محاولة منه لمعرفة الحقائق .. فاستجوب مارلين رايزديفيز خلال احتجازها فى سجن هولواى ومع كريستين كيلر ودكتور ستيفن وارد وغيرهم .

الفصل الثالث

ستيفن ينهار وبروفيمو يعترف ويقدم استقالته

كريستين: إيفانوف دب بشكل إنسان!

الضغوط التى مارستها الشرطة على دكتور ستيفن وارد أدت إلى انهياره وتوتره .. ولكنه بصفته شخصاً اعتاد الاتصال بالشخصيات الهامة، فإنه حاول أن يخفف عن نفسه هذه التوترات وإبعاد الشرطة عن ملاحقته، فاتصل برئيس الوزراء هارولد ماكميلان يطلب تحديد موعد لمقابلته .. فقرر ماكميلان تكليف سكرتير عام رئاسة الوزراء نورمان بروك بمقابلته فى اللقاء الذى اشتكى فيه دكتور ستيفن من ملاحقة الشرطة له .. ولكنه أبلغ عندئذ أن تلك الأمور لاتهم رئيس وزراء بريطانيا ..

كانت لهذا الاجتماع أهمية خاصة، لأن الدكتور وارد ذكر خلاله أن جون بروفيمو قد كذب على مجلس العموم البريطانى فى بيانه الذى ألقاه عندما أنكر علاقته الخاصة بكريستين كيلر .. وإزاء هذه الأقوال كلف هارولد ماكميلان وزير داخليته وعدداً من أعضاء مجلس العموم البريطانى بمعاودة سؤال وزير الحرب بشأن علاقته بهذه الفتاة . ولكن وزير الحرب ظل على موقفه منكراً علاقته الخاصة بهذه الفتاة .

بداية النهاية

أدى توتر ستيفن إلى اتخاذه تصرفاً آخر، إذ أصدر بياناً صحافياً يقول فيه: «لقد أوضحت لوزير الداخلية الكثير من الحقائق حول علاقة الوزير جون بروفيمو بالآنسة كريستين كيلر، وذلك حرصاً منى على إظهار ألا مصلحة لى فى إخفاء أمور تتعلق بذلك الوزير أو بالحكومة البريطانية .. وأود أن أؤكد للجميع أن ليس عندى ما أحاول إخفاءه .. وأستهدف بهذا البيان حماية نفسى وأصدقائى والمرضى الذين أعالجهم من هذه الشائعات التى لم أعد أستطيع أن أتحملها» .

فى نفس الوقت شعر جون بروفيمو وأنصاره فى مجلس العموم البريطانى أن الأمور قد خرجت عن سيطرتهم.. وتزايد اللغط والهمس والتلميحات هنا وهناك.. وحاول بروفيمو تحديد موعد لمقابلة رئيس الوزراء ماكميلان ولكنه كان فى عطلة يلعب الجولف على حشائش اسكتلندا الخضراء.. ولم يجد بروفيمو ما يفعله سوى أن يصطحب زوجته لعطلة قضاها فى فينيسيا وتعمد التقاط مجموعة من الصور وهو يستقل الجندول مع زوجته وعلى وجهه ابتسامة سعيدة..

كتابة الاستقالة

عاد بروفيمو من عطلته ليجد أن الاستعدادات قد أجريت لإعادة سؤاله للمرة الثالثة.. عندئذ اتصل تليفونياً بمكتب رئيس الوزراء يطلب مقابلته.. وكان يوم الثلاثاء ٤ يونيو ١٩٦٣ آخر يوم يؤدى فيه جون دينيس بروفيمو وزير الحرب فى الحكومة البريطانية أى مهام من مهام وظيفته كعضو فى الحكومة بل وأيضاً كعضو فى مجلس العموم البريطانى عندما قدم استقالته التى كتب فيها:

«السيد رئيس الوزراء..

تذكرون أننى فى ٢٢ مارس أدليت ببيانى فى مجلس العموم إزاء الشائعات التى تقول إن لى علاقة باختفاء أحد الشهود، وشائعات أخرى حول تصرفات تهدد الأمن القومى.. وهى اتهامات لها خطورتها..

وقد فكرت فى أمر ارتباطى بتلك الشاهدة التى حامت حولها الكثير من الشائعات.. وكنت قد ذكرت فى بيانى أنه لم تكن لى أية علاقة مشينة..

ويؤسفنى اليوم أن ماذكرته آنفاً يخالف الحقيقة وأننى ضللت زملائى فى مجلس العموم البريطانى.. وكنت قد لجأت إلى ذلك فى محاولة منى لحماية أسرتى وزوجتى.. ولكننى تبينت أننى بهذا الخداع أكون قد أذنبت ذنباً كبيراً رغم يقينى من أنه لا صحة لما نسب إلىّ من اتهامات..

وعلى الرغم من ذلك لا أعتقد أننى أستطيع أن أظل عضواً بالحكومة أو بمجلس العموم البريطانى.. إننى لا أستطيع أن أصف مدى ندمى وشعورى بالخجل لما سببته لكم ولزملائى فى الحكومة وللمواطنين الذين انتخبونى عضواً أمثلهم بدائرتهم الانتخابية ولا للحزب الذى أخلصت فى خدمته طوال الخمس والعشرين سنة الماضية».

المخلص :

«جون بروفيمو»

كانت إجابة هارولد ماكميلان على تلك الاستقالة إجابة موجزة خلت من عبارات المجاملة التقليدية التى عادة ماتكتب رداً على طلبات الاستقالة.. وعندما نشرت الاستقالة ظن الكثيرون أن هذا ينهى هذه الزوبعة وأن فى هذا ما يطوى صفحاتها.. ولكنها فى حقيقة الأمر لم تكن سوى البداية..

وفى اليوم التالى لاستقالة جون بروفيمو كانت استقالته هى الخبر الرئيسى فى كل الصحف الأوروبية وليس فى بريطانيا وحدها.. فقصة استقالته تشتمل على كل عناصر الإثارة والفضائح التى تلاحقها الصحف فى كل مكان تحمل عناصر الإثارة مجتمعة: الجنس.. والرذيلة.. والجاسوسية.. وهى العناصر التى تتكون منها أكثر المآسى إثارة وتحريكاً للعواطف وإثارة لشغف القراء حتى أن جون بروفيمو اكتسب بين يوم وليلة شهرة تفوق شهرته فيما لو كان قد انتخب رئيساً لوزراء بريطانيا.

الحكومة تهتز

اختفى وزير الحرب البريطانى عن الأنظار واعتقد أنه لن يلحق أضراراً جسيمة بحزب المحافظين والحكومة الحالية، لكنها اهتزت اهتزازاً عنيفاً بتلك الفضيحة التى تتعلق بعضو بارز من الحزب ووزير أمن المحافظين، ذلك الحزب الذى كان يفخر بأن تاريخه خال من تلك الوصمات، حتى كانت تلك الوصمة ذات الأبعاد السياسية والجوانب الخطيرة التي تهدد الأمن القومى على نحو هز صورة المحافظين الذى كان يفخر بأن أعضاءه يمثلون شخصية «الجنتلمان الإنجليزى» ويتمتعون بالصفات التى يتفاخرون بها فى ترفع وتعال وغرور، وهى التى تميزهم عن أعضاء حزب العمال الذين يحتلون المقاعد الخلفية من مجلس العموم البريطانى..

ماكميلان يواجه الرياح

وإذا كان جون بروفيمو قد اختفى من الصورة ولم يعد عضواً بالحكومة أو بمجلس العموم، فكان من الطبيعى أن تهب الرياح لتعصف برجل آخر وهو رئيس الوزراء هارولد ماكميلان الذى بدأت التلميحات تتحدث عن ذلك الخطأ الذى ارتكبه بتأييد من رجل فى مقتبل العمر ويعينه فى هذا المنصب الخطير..

تقضى التقاليد البريطانية أنه فى حالة استقالة أحد الوزراء، فعليه أن يتوجه بعد ذلك لتقديم أوراق استقالته شخصيا لملكة بريطانيا فى اجتماع خاص.. وأعلن أن جون بروفيمو سوف يفعل ذلك يوم ١١ يونيو.. وما إن نشر هذا الخبر حتى ثارت زوبعة أخرى من أعضاء فى حزب العمال الذين عبروا عن استيائهم من فكرة أن تلتقى الملكة المحبوبة بذلك الوزير الذى ثبت أنه لا يستحق هذا الشرف..

وقد استجاب جون بروفيمو لهذه الاحتجاجات طالباً أن يسمح له بإعفائه من مقابلة ملكة بريطانيا والاكتفاء بتقديم طلب استقالته بمندوب عنه..

الأمن القومى

فى يوم ١٧ يونيو كان هناك أعضاء فى مجلس العموم يطالبون بإجراء حوار حول هذه الفضيحة، خاصة فيما يتعلق بتهديدات الأمن القومى.. وكان من بين الأعضاء من قالوا إن هناك رجالا يتسببون فى إلحاق الضرر بأمور تهم مصلحة البلاد نتيجة انغماسهم فى العلاقات الشاذة، وإن أمثال هؤلاء الرجال لا يجب أن يكون لهم مكان فى خدمة صاحبة الجلالة أو فى خدمة البلاد.

طوال عطلة نهاية الأسبوع التالى لاستقالة بروفيمو لم تكف التليفونات عن الرنين فى اتصالات محمومة بين مختلف أعضاء مجلس العموم.. ولكن زعيم الحزب الليبرالى «جو غريموند» كان هو الذى أفصح عن رغبته علانية فى أن يقوم حزب المحافظين بتطهير صفوفه، ملقيا باللوم على رئيس الوزراء الذى لا يمكنه الهروب من المسئولية إزاء ما حدث، ويستوى بذلك جهله بتلك الأحداث أو علمه بها دون اتخاذ إجراء قبلها..

جدل برلمانى

هكذا نسب إلى هارولد ماكميلان أنه قد فشل سياسياً ليكون ذلك موضوع جدل برلمانى للإجابة عن أسئلة عديدة منها: هل كان يعرف ما يدور خلف ظهره؟ أو أنه عرف بذلك وعجز عن اتخاذ إجراء مناسب؟

أتاحت هذه الزوبعة الفرصة المناسبة لجريدة «صنداى ميرور» لتنشر ذلك الخطاب الشهير الذى كان قد أرسله جون بروفيمو إلى كريستين كيلر.. وهو الخطاب الذى كان له ذكر على لسان دكتور ستيفن وارد فى لقاء تليفزيونى سابق.. ونشرت الصحيفة نص ذلك الخطاب المؤرخ فى ٩ أغسطس ١٩٦١ والذى يقول فيه:

«حبيبتى.. أكتب لك على عجل لأننى لم أستطع أن أحدثك تليفونيا، ونتيجة لالتزامات طارئة لا أستطيع أن أقابلك فى الموعد المتفق عليه، وخاصة أن علىّ أن أسافر لأماكن عديدة خلال الأيام القليلة القادمة.. وقد لا يتاح لنا أن نلتقى حتى سبتمبر.. مزقى هذا الخطاب.. تحياتى..».

«ملحوظة: لاتهربى منى.. حبى ..ج».

تسابقت الصحف على شراء مذكرات كريستين كيلر وصديقتها مارلين رايز ديفيز.. ونشرت جريدة «صنداى ميرور» فى ٩ يونيو بعض ما قالته مارلين رايز ديفيز: «إن الجانب المضحك فى هذه المسألة أنه فى مرات عديدة كان جون بروفيمو ما إن يترك كريستين كيلر ويغادر الشقة حتى يحضر الملحق العسكرى البحرى الشاب الأنيق أوجين إيفانوف، وهو موقف كان يثير ضحكنا ومادة لتبادل النكات بينى وبين كريستين».

دب فى شكل إنسان

أما جريدة «نيوز أوف ذا ويرلد» فبدأت تنشر موضوعاً جذاباً كان عنوانه «اعترافات كريستين كيلر» والتى دفعت ٢٤ ألف جنيه ثمناً لها.. ولكن هذا الثمن لم يكن يوازى المكاسب الكبيرة لتلك الجريدة التى ارتفع توزيعها إلى

٢٥٠ ألف نسخة ونشرت صوراً فاضحة لكريستين من زوايا مختلفة وهى تتحدث عن أول لقاء لها مع بروفيمو وزوجته فى قصر اللورد استور المعروف باسم «بيت كليفدن»..

ولم تتردد كريستين فى أن تتحدث بصراحة عن علاقتها بالوزير بروفيمو والملحق البحرى إيفانوف الذى وصفته بأنه دب فى شكل إنسان..

إن التفاصيل التى روتها فى اعترافاتها كانت قمة فى الإثارة، خاصة عندما تتحدث عن دكتور ستيفن كرجل يحب الإثارة والتصرفات الغريبة إلى جانب روح الفكاهة والدعابة.. ولعل أطرف ما روته بأنه كان أحيانا يسير بالشارع ويصطحبها إلى الحانات وقد ربطها من رقبتها بطوق من أطواق الكلاب وأمسكها بسلسلة غير مكترث بنظرات المارة التى كانت تحملق فى هذا المشهد الغريب.. كما روت الكثير عن لقاءات ستيفن وإيفانوف والكثير من المزاح والنكات والضحك.

وأما «صنداى ميرور» فقد التزمت بجانب أكثر واقعية باقتصارها على ذكر الأحداث التى أدت إلى استقالة الوزير بروفيمو وأثر ذلك على الحياة السياسية فى انجلترا. وإن كانت بعض كلماتها تحمل طابع النفاق الاجتماعى وهى تقول إنه من الغباء أن نعتقد أن من يشغلون هذه المناصب العليا فى البلاد منزهون عن الهفوات الأخلاقية.

واقتصر تعليق «الأوبزرفر» حول بروفيمو بأنه رجل أخطأ معرفة قواعد اللعبة السياسية، موضحة أن الالتزام بالأخلاق وطهارة المسلك أمور تهم الجمهور، وذكرت أنه كان الأجدر بهذا الوزير أن يقاوم مثل هذه المغريات والابتعاد عن هذه النزوات الصبيانية.. وكانت المحصلة النهائية لهذه

الزوبعة هى ذلك الكسب الذى حصل عليه حزب العمال البريطانى فى توقعاته إزاء الانتخابات التى أجريت بعد ذلك..

اشتعال النار

وسط هذه الأحداث.. بل وفى اليوم التالى لاستقالة بروفيمو كانت هناك أحداث أخرى زادت النار اشتعالا، عندما ألقى القبض على السيوس جوردن الشهير بلاكى الذى قدم للمحاكمة بتهمة الاعتداء على كريستين فى القضية التى نظرت أمام محكمة أولد بيلى فى جو مجموم، اكتظت فيه قاعة المحكمة بجمهور المشاهدين والصحافيين حاول خلالها لاكى شرح أبعاد علاقته بكريستين وتطرق إلى الكثير من الفضائح..

وانتهت المحاكمة بإدانة «لاكى» وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات. وفى الوقت الذى اقتيد فيه من قفص الاتهام إلى السجن، كانت شرطة اسكتلنديارد فى طريقها للقبض على الدكتور ستيفن، بعد أن توافرت لشرطة الآداب المعلومات حول حصيلته وثروته من أعمال الرذيلة وهى جريمة يعاقب عليها القانون الإنجليزى..

ماكميلان متجهم

عندما وصل هارولد ماكميلان إلى محطة ايستون عائداً بالقطار بعد انتهاء إجازته وجد متجهما وقد أحاطه المصورون ورجال الصحافة.. ولكن رجال الشرطة أسرعوا بإبعادهم ليستقل سيارته عائدا إلى منزله ليقرأ صحف الصباح التى كانت تتحدث عن الفضيحة التى نالت من احترام

الحكومة وتلميحات تشير إلى أن زعيم المعارضة هارولد ويلسون يخطط لبدء هجومه ضد الحكومة فى الجلسة البرلمانية يوم الاثنين التالى..

توافد على مقر رئيس الوزراء عدد من أقطاب حزبه والوزراء.. وكانوا جميعا متجهمين وعكفوا على دراسة قضية بروفيمو وانعكاساتها

فى صباح اليوم التالى نشرت صحيفة «الديلى ميرور» تحقيقاً صحفياً جديداً نزل كالوقود على الجمر الهادىء ليعيد إشعاله.. فقد حمل معلومات حصلت عليها من أحد أعضاء مجلس اللوردات وهو الصحافى الشهير اللورد «أران» الذى تكلم عن لقاء سابق له مع الملحق البحرى السوفيتى أوجين إيفانوف فى أكتوبر ١٩٦٢، والذى كتب بشأنه خطاباً فى ٣١ أكتوبر إلى اللورد هيوم وزير خارجية بريطانيا يتحدث فيه كيف فاتحه إيفانوف برغبته فى توصيل رسالة غير رسمية إلى الحكومة البريطانية..

موسكو بحاجة إلى لندن

فالاتحاد السوفيتى كان فى حاجة ماسة لتدخل بريطانيا وأن خروشوف رئيس الاتحاد السوفيتى يتطلع إلى عقد قمة فى لندن بينه وبين الحكومة البريطانية بهدف إيجاد مخرج له من هذا الموقف المتأزم فى كوبا، إزاء تلك المطالب الصعبة التى تطالب بها الولايات المتحدة، والتى من شأنها إحراج روسيا فى وقت تهدد فيه أمريكا بغزو كوبا ما لم يزل الاتحاد السوفيتى الصواريخ منها.. وأن روسيا تريد من بريطانيا أن تتدخل لإيجاد حل لهذا المأزق، وخاصة أن تدخلها يزيد من قدرها لأنها ستنقذ العالم من الدمار..

وأضاف اللورد أران فى خطابه أنه سأل إيفانوف كيف يترك هذا الأمر

الخطيـر فى يده وهو الموظف الأقل درجـة بين أعـضـاء السلك الدبلومـاسى فى لندن؟.. ولماذا لم يتول السفير السوفيتى هذه المهمة الخطيرة؟ فأجابه بأن الاتجاه هو أن تجرى هذه الاتصالات مبدئيا بصفة غير رسمية لجس نبض الحكومة.

واختتم الخطاب قائلا إنه نقل هذه المعلومات إلى اللورد هيوم الذى كتب إليه موضحاً أن تلك ماهى إلا محاولة من السوفييت لدق إسفين فى العلاقة بين بريطانيا وحليفتـها أمريكا.. شكره الوزير على هذه المعلومـات التى لم يتـخـذ الوزير تـصـرفـا إزاءها.. وأنه بعـد ١٤ سـاعـة من ذلك الخطاب فـاجـأ خروشوف العالم بتنازلاته ونزع أسلحته من كوبا لينتهى ذلك التوتر..

المقـال الذى نشـرته الديلى مـيرور أظـهر مـدى خطورة أوجين إيفـانوف، الرجل الذى اسـتـغل كـريسـتين خـلال لقـاءاته بهـا فى وقت كـانت فـيـه على علاقـة بوزير الحرب البريطانى.. وهو موقف أشبه بالفضيحة ويمثل انتهاكاً خطيـراً لاعـتـبـارات الأمن القـومـى.. وسط هذه الأحـداث المتـلاحـقـة فـإن المسـتـفـيـد الوحـيـد هو مـدير البنك الذى تـودع فيـه كـريسـتين أمـوالهـا.. فـقـد أودعت فـى بنكه تلك المكافـآت التى حـصـلت عليـهــا من صــحـف الديلى إكـسـبريـس والديلى مـيـرور ونيـوز أوف ذا ويرلد والدخـل الذى بدأت تحـصـل عليـه وهو ٢٠٠ جنيه اسـترلينى أسبوعـيا نظير العـمل الجديد الذى حـصلت عليـه فـى أحد النوادى الليلية الشـهيرة، فضلا عن عروض أخرى تلقتها فى لاس فيجاس..

الفصل الرابع

فضيحة وزير الحرب تهز الأسواق البريطانية

كريستين نجمة صحفية
والأسعار خيالية

لم تنته متاعب حكومة هارولد ماكميلان.. فالصحافة كانت ومازالت تلاحق الفضيحة بنشر المزيد من اعترافات كريستين كيلر.. فنشرت الديلى إكسبريس أن جون بروفيمو، حرصاً منه على إخفاء تحركاته، استعار سيارة سوداء كبيرة مزينة بزينة فضية فى مقدمتها، وهى سيارة «جون هار» وزير العدل فى الحكومة البريطانية ليستقلها مع عشيقته على سبيل التخفى.. وقالت إن هذا قد يفسر سبب مشاهدة سيارة هار أمام مسكن الدكتور ستيفن.. وكان وزير العدل قد نفى فى أول الأمر تسليم سيارته لبروفيمو ثم عاد ليقر بذلك.

وتناولت صحيفة الغارديان نفس الموضوع فى مقال افتتاحى مشيرة إلى أن طبيعة العلاقة بين بروفيمو وزميله وزير العدل، قد تكون من الموضوعات التى يتعين أن تفحصها لجنة الأمن القومى التى يجب أن تنظر فى احتمال أن يكون وزراء آخرون ضالعين فى أمور تهدد الأمن القومى من خلال الاتصال بالملحق البحرى إيفانوف.

وكُشفت أيضا أسرار عديدة من أن ماكميلان قد كلف لورد «دان هورن» أن يتحرى كافة الظروف المتعلقة باستقالة وزير حربه بروفيمو.. وكان الهدف من الإعلان عن ذلك تهدئة الأصوات الناقدة التى كانت مازالت تقول إنه كان يتعين على ماكميلان أن يعرف مايكفى عن أنشطة بروفيمو وكان عليه أن يطرده من الوزارة قبل ذلك بأشهر عديدة.. ولو أنه فعل ذلك لأنقذ وزارته من الانتقادات العديدة التى ترتبت على هذه الفضيحة، ولكن ارتفعت الأصوات المنادية باستقالة حكومة ماكميلان.

هزة مالية.. وردود عالمية

انعكست هذه الملابسات السياسية فى اضطراب سوق الأوراق المالية

بزيادة البيع الذى أدى إلى خسارة تبلغ ملايين الجنيهات حتى أن جريدة الفاينانشال تايمز قالت إن هذا الانهيار هو أعنف انهيار وقع فى سوق الأوراق المالية منذ الأزمة الكوبية، فقد هبطت أسعار أوراق الأسهم بسبع نقاط.

لم تقتصر ردود الفعل لتلك الفضيحة على المستوى المحلىّ.. بل امتدت عبر الأطلسى إلى الولايات المتحدة حيث نشرت إحدى الصحف الأمريكية مقالا قالت فيه: إذا صدق عزم الرئيس كيندى على زيارة إنجلترا فإن هذه الزيارة من شأنها دعم موقف الحكومة البريطانية المتهاوى.. ودعم مكانة رئيس الوزراء ماكميلان. وإذا تحقق هذا الاتجاه وقام الرئيس كيندى بالزيارة، فإن هذا من شأنه أن يعطى انطباعا بأن أمريكا تتدخل فى الشئون الداخلية لبريطانيا فى وقت تهتز حكومة المحافظين بسبب ماعرف عن علاقة وزير الحرب بروفيمو ببعض فتيات الليل.. ومن الأفضل للرئيس أن يبقى فى بلاده مادامت هذه الأزمة قائمة.

أما صحيفة نيويورك ميرور فقد نشرت مقالا تناول الثغرات الموجودة فى نظم الأمن القومى وأبدت اهتمامها بما يكون قد ترتب على هذه الفضيحة من تسرب لمعلومات بالغة السرية. وصعدت واشنطن بوست من تحذيراتها عندما قالت إن بعض المسئولين الكبار فى الحكومة الأمريكية يشعرون بالقلق إزاء تلك الفضيحة.

كما تصاعدت أصوات فى الكونجرس الأمريكى تطالب الإدارة الأمريكية بأن تحكم من قبضتها على أسرار الأسلحة النووية والأسرار الخاصة بالقوة النووية لحلف شمال الأطلسى.. وهى أسرار تهم أكثر من دولة.

أما فى فرنسا فكانت هناك ردود فعل مماثلة .. وصرح أحد الوزراء أنه فى ضوء ما نشر عن علاقة أحد أعضاء الحكومة البريطانية ببعض فتيات الليل فإنه يتعين علينا أن نسأل إذا كانت تلك الحكومة ناضجة بالقدر الكافى الذى يؤهلها للالتحاق بالسوق الأوروبية المشتركة.

أما الجريدة الفرنسية لاناسيو فلم يغضبها شىء من كل هذه الفضيحة سوى أقوال كريستين كيلر من أنها تفضل الدب الروسى على جون بروفيمو الإنجليزى.

كان من تداعيات هذه الفضيحة المقالات العديدة التى نشرت تنتقد هذه الفضيحة من الناحية الأخلاقية ..وكانت جريدة تايمز رائدة فى هذا المجال عندما نظرت إلى الفضيحة من زاوية أخلاقية لتقول: «إن القاضى فى المحكمة قد لا يضع الاعتبارات الأخلاقية بين مبررات الأحكام التى يصدرها، ولكن الرأى العام فى هذه القضية له وجهة نظر مختلفة .. فالبريطانيون ليسوا شعباً مجرداً من الأخلاق على النحو الذى كشفت عنه الفضيحة وأنحوا باللائمة على الحكومة التى ظلت فى مقاعد الحكم لأشهر طوال، بينما كانت تدور هذه المهازل حتى انتهت الأمور إلى النهاية السيئة .. فالاقتصاد قد تدهور والأوضاع السياسية تلبدت .. ولا يسعنا إلا أن ننتظر الأسوأ خلال الأيام القادمة» . لقد لمحت الصحف إلى ما نشرته جريدة واشنطن بوست من أن هذه الصورة البراقة للشعب البريطانى تخفى الكثير من العفن.

قنبلة جديدة

وفى هذا المناخ المحموم كان هناك خطاب فجر قنبلة جديدة وهو

الخطاب الذى كان قد أرسله محامٍ شهير فى لندن يدعى «مايكل أيدوز» ونشرت تفاصيله بالصحف ليقول إنه كان قد كتب لرئيس الوزراء ذلك الخطاب فى ١٣ يونيو وهو الخطاب الذى جاء به مايلى:

«عزيزى رئيس الوزراء.. أود أن أحيطك علماً بأننى كنت قد سلمت إدارة البوليس السياسى الإنجليزى تقريرا شاملاً عن المعلومات التى توافرت لى فى موضوع إيفانوف.. وقد ذكرت فى تقريرى أن كريستين كيلر كانت قد أخبرتنى شخصياً أن الملحق البحرى إيفانوف طلب منها أن تعرف من بروفيمو تاريخ تسليم الرؤوس النووية لألمانيا الغربية.

وأضاف: وكانت كريستين قد استشارتنى فى قضية لها لمطالبتها بالتعويض عن الأضرار التى لحقت بها إثر اعتداء جون إيدجكومب عليها، وكانت فى حاجة إلى مشورتى القانونية.. وبعد أن ناقشتها فى حادث إطلاق النار عليها تدرج بنا الحديث لأعرف منها أنها على علاقة بكل من بروفيمو وإيفانوف.

وقال المحامى مايكل فى خطابه:

وإدراكا منى لخطورة هذه العلاقة سألتها إذا كان إيفانوف قد حاول إقناعها بالحصول على معلومات من بروفيمو، فأجابتنى بأنه كان قد طلب منها أن تستفسر عن موعد تسليم الرؤوس النووية.. اتصلت بعد ذلك باسكتلنديارد إدراكاً منى بخطورة هذا الموقف وسلمتهم تقريراً بهذه المعلومات وعرفت منهم أن تقريرى سيرفع إليكم.. ولكننى عندما استفسرت بعد ذلك عرفت أن تقريرى هذا لم يرسل إليكم كما كنت أتوقع ووجدت من واجبى أن أبلغكم بذلك»..

المخلص: «مايكل أيدوز»

لم تنته علاقة المحامى بتلك الفضيحة بإرساله الخطاب فقد أصبح يتحدث للصحافة عن معلوماته فى هذا الموضوع.. وامتدت اتصالاته إلى صحيفة نيويورك ميرور الأمريكية التى أخبرها أن كريستين والتى تنتمى إلى أبوين فقيرين عرفت كيف تستغل جمالها غير العادى الذى جعلها موضع إعجاب الجنس الآخر منذ كانت فى الرابعة عشرة من عمرها..

كما تحدث بالتفصيل عن معلوماته حول كريستين ليقول إنها برغم علاقاتها بالعديد من الرجال إلا أنها لم تحب أحدا منهم.. وكانت أول وآخر تجربة عاطفية لها وهى فى السادسة عشرة من عمرها.

التهديد الروسى بالقصف النووى

فى ١٧ يونيو ١٩٦٣ سافر ذلك المحامى فجأة إلى أمريكا بدعوى أنه سيواصل هناك بحثه فى علاقة بروفيمو وكيلر.. واصطحب معه مساعداً وهو مخبر خاص يدعى «مايكل مارلر» الذى لفت الأنظار بطابعه الإنجليزى وسترته السوداء والمظلة التى لاتفارق يده.

وما إن وصل مايكل أيدوز ومساعده إلى نيويورك حتى التف حوله الصحافيون باحثين عن المزيد من المعلومات.. ولكنه اكتفى بكلمة لاتعليق.. واكتشفت الصحافة الأمريكية أنه موفد إلى أمريكا للبحث فى الأخطار التى قد يكون تعرض لها الأمن الأنجلو- أميركى بسبب هذه العلاقة، وخاصة أنه كان قد أصبح للمخابرات الأمريكية العسكرية اهتمام مباشر بهذه الفضيحة من حيث علاقة أوجين إيفانوف بالأزمة الكوبية.. كما نقل لـ «أمريكان جورنال» عن إيفانوف قوله إنه إذا ما تعرضت السفن الروسية لأية أخطار بسبب الحصار على كوبا، فإنه يجب فى هذه الحالة أن

تنسف بريطانيا بالقنابل النووية.. كما تلقى القنابل على مدينة نيويورك.

هذه المعلومات أثارت قدراً كبيراً من التوتر وأعطت لهذه الفضيحة بعداً جديدا.. فلم تعد القضية مجرد علاقة عاطفية أو خيانة زوجية بين وزير وإحدى بنات الليل بل قضية لها أخطارها على السلام العالمى.

استعدت بريطانيا كلها للنقاش الذى تقرر أن يجرى فى مجلس العموم.. وشمر القادة السياسيون عن سواعدهم.. وعرف أن زعيم المعارضة هارولد ويلسون سيهتم أكثر بالجانب الأمنى فى هذه الفضيحة.

وزير الصحة يعرض استقالته

عرف عندئذ أن وزير الصحة «اينوين باول» كان قد التقى بماكميلان وعرض رغبته في الاستقالة احتجاجا منه على هذه الأحداث.. ويقال أنه أبلغ رئيس الوزراء أنه يشعر بالخجل من كونه عضوا بحكومة ضمت يوما هذا الوزير الكاذب الذى خدع حكومته والثقة المودعة فيه وارتكب هذه الأفعال المخالفة لكل التقاليد والأعراف..

ولكن رئيس الوزراء استطاع بحنكته أن يحتوى غضب الوزير ليؤكد له أنه بدوره لن يتردد فى الاستقالة إذا شعر بأن شرفه أو شرف الحكومة مهدد على أى نحو أو آخر، وخاصة أن ماكميلان يرى فى استقالة هذا الوزير ما يضعف من موقفه خلال الجلسة البرلمانية الصاخبة التى سيعقدها مجلس العموم لمناقشة هذه الفضيحة..

وأكد للوزير أنه فى حاجة إلى دعمه ووقوفه إلى جانبه.. وإذا كان على أحد أن يستقيل فإن ماكميلان سيكون بنفسه أول من يقدم استقالة حكومته بأجمعها.

فضيحة أخلاقية أخرى

وسط هذا المناخ الملغم والمتوتر خرجت جريدة وستمنستر كونفدنشال بمقال أضاف المزيد من المتاعب للمحافظين حيث تناول فضيحة أخرى عرفت باسم «دوقة أرجيل» وطلاقها من زوجها الدوق.. وهى القضية التى كانت تنظر فى المحاكم الأسكتلندية طوال العامين السابقين وكان قد فصل فيها فى تلك الآونة لصالح الدوق..

الجديد الذى أبرزته الصحيفة أن الحكم كان قد صدر عندما قدم الدوق صوراً للمحكمة لزوجته مع رجل آخر.. ونشرت الصورة..ولكن بعد إخفاء رأس هذا الرجل حتى لايتعرف عليه أحد.

دارت تكهنات عديدة حول شخصية هذا الرجل المجهول فى الوقت الذى كانت قد تفجرت فيه فضيحة بروفيمو.. ولكن صحيفة وستمنستر كونفدنشال نشرت المقال لتقول إن هذا الرجل المجهول هو وزير فى حكومة ماكميلان، لتضيف هموماً جديدة إلى هموم رئيس الوزراء الذى أخذ يضرب أخماسا فى أسداس عن شخصية هذا الوزير الضالع فى خيانة زوجية من شأنها زيادة تلويث سمعة حكومته.. ولكن كانت هناك شائعات أشارت إلى أن ذلك الرجل عشيق الدوقة هو أحد أفراد العائلة المالكة فى بريطانيا.

أحداث مثيرة

كان أسبوعاً حافلاً بالأحداث المثيرة..فقد نشرت الصحافة أن «كريستين كيلر» هى وصديقتها «بولا هاملتون مارشال» قد عرض عليهما عرض من أحد النوادى الليلية قدره ٦٠ ألف جنيه استرلينى.. وكثرت الأحاديث والمقالات الصحافية والبرامج التليفزيونية التى لم يكن لها

موضوع سوى الانهيار الأخلاقى بين الطبقة العليا فى المجتمع.. واعتقد الكثيرون أن هناك الكثير من أمثال بروفيمو.. وكتب «جوفرى وين» أحد أصحاب الأقلام الشهيرة فى انجلترا مقالا عنوانه «كيف تؤكد الزوجة إخلاصها لزوجها» مع الإشارة بصفة خاصة إلى «فاليرى هوسبون» زوجة بروفيمو.. وأشار ذلك الكاتب إلى ما كان قد سمعه من والدته ذات يوم وهى تقول «إن الزوجة هى دائما آخر من يعلم».

لم تتوقف الصحف عن التلميح إلى الفكرة السائدة فى ذلك الوقت والداعية إلى ذهاب حكومة ماكميلان واتهامه بأنه قصر فى مهامه كرئيس للوزراء.. وأتاح ذلك الفرصة للأقلام التى كانت تتحدث عن صفات القيادة الصحيحة والقول بأن الخير والشر يتوقف على القيادة.. وأن القائد إذا ما كان سيئا فإن أفضل ما يمكن القيام به استبداله بقائد جديد صالح.

أما فى الكنائس فكانت الألفاظ التى تتردد على المنابر تشتمل على صفات رنانة وكلمات ناقدة عن الفضائح المخجلة والصدمة التى لحقت بهذا الشعب والتدنى فى المستويات الأخلاقية الذى يؤدى بوزير مسئول إلى الارتباط بحلقة من حلقات الرذيلة.. وكثرت الأسئلة عن كيف يمكن لهذه الأمة أن تترك مصائرها فى أيدى رئيس الوزراء ومساعديه من المنحرفين.

النجمة المفضلة

أما كريستين كيلر فكانت نجمة الصحافة المفضلة والحصان الأسود الذى تراهن عليه كل الصحف، حتى أن إحدى الصحف دفعت لها ٢٤ ألف جنيه لتشترى حق نشر قصتها وطفولتها التعسة.. فقد كانت تلك الموضوعات أكثر ما يقبل عليه القراء ومن أفضل أسباب رواج الصحف.

وصارت النغمة السائدة فى كل الأوساط السياسية والصحافية هى أن ماكميلان قد أفل نجمه ولن يبقى فى مقعد الرئاسة سوى بضعة أشهر حتى يمكن التوصل إلى بديل له وقائد جديد يسير دفة الأمور.. وطرحت أسماء عديدة للبدائل المقترحة.. ونشر تقييم لكل منهم عن مدى صلاحيته مع التلميح إلى أن ذلك السياسى العجوز لم يكن قادرا على الإمساك بزمام الأمور..

سادت العصبية والتوتر كل الأوساط السياسية فى البلاد، وخاصة أن إحدى الصحف الفرنسية تقول: «إن كل الساسة والطبقة الأرستقراطية صارت تعيش فى خوف وذعر منذ ألقى القبض على ستيفن وارد خشية أن يفضح كل شىء»..

وعاد مرة أخرى لورد «هاليشام» للحديث فى برنامج تليفزيونى لم يرحم أحداً.. وقد صب انتقاداته وألفاظه الساخنة من منطلق أخلاقى دينى منتقداً ذلك الصدع العميق الذى أصاب الأخلاقيات والمثل فى بريطانيا.

جلسة ساخنة

ساد الوجوم مجلس العموم البريطانى عندما افتتح جلسته فى الخامسة والنصف وهى جلسة خاصة مخصصة لمناقشة هذه الفضيحة.. وقام هارولد ويلسون زعيم المعارضة ليلقى كلمته فبدأها بقوله: «إن النقاش الذى يدور اليوم فى هذا المجلس لم يسبق له مثيل فى تاريخ المجلس بسبب الصدمة الأخلاقية التى أصابت ضمير الأمة.. ولا شك أن الزملاء الأعضاء يشعرون بالغثيان والتقزز إزاء تلك الأحداث ومافعله وزير الدولة لشئون

الحـرب الذى أراد أن يواجـه الشـائعـات، وتعـمـد أن يكذب على المجلس مـسـتـفـيـداً من تقـاليـده التى تقـضـى بأن البـيـانـات الشـخـصـيـة للـوزراء لا تخـضـع للنقـاش.. ومـا يعنيـنـا فى هـذا المجـال هو أن نجـد رجـلا حـاز كل الثـقـة وشـغل منصبـا من أهم مناصب الدولة، وقـد انغمس فى شبكة دنيـئـة معرضـاً الأمـن القومى لبـلاده للخطر، مستغلاً الحـصانة البرلمانيـة ليهدد بمقـاضـاة كل من يردد هذه الشـائعـات عنه فى الوقت الذى كـان يعلم أنهـا صحيحة».

سرد الأحداث

وسـرد ويلسـون فى خطابه الأحـداث منذ بدايتـهـا عندمـا بدأ الكولونيل «جـورج ويغ» إحـاطتـه علمـاً بهـذه الأحـداث، ثم ظهوره فى برنامج بانورامـا التليفزيونى.. واستطرد ليتناول الأحـداث خطوة بخطوة منذ تلقيه خطاباً من الدكتور ستيفن وارد وهو الخطاب الذى أرسله لرئيس الوزراء وتلميحه إلى أن يكون ذلك الطبيب وسيطا سوفيتيا.. وأن رئيس الوزراء أجابه بأن الدلائل لا تؤكد شيئا من ذلك.

ثم كان خطاب الدكتور وارد الذى فضح فيه بروفيمو من أنه كذب على مجلس العموم.. ثم ماكان من أمر ماكميلان بتكليف لورد ديلهورن بالتحقيق فى الموضوع فى الوقت الذى كتب فيه لهارولد ماكميلان يقول إنه واثق من أن الجانب الأمنى فى موضوع ستيفن موضوع تحت الرقابة الكاملة وأن ليس لهارولد ويلسون أن يقلق بهذا الشأن.. وكان من الواضح أن السيد ماكميلان يخشى أن تتكرر ظروف مماثلة لتلك الظروف التى أدت لاستقالة وزراء آخرين كما حدث فى قضية الجاسوس فاسال.

أسئلة .. بلا جواب

واصل هارولد ويلسون حديثه قائلاً: «إن اكثر ما كان يعنينى أن الشواهد كانت تؤكد أن تلك الظروف من شأنها أن تهدد الأمن القومى ما دام وزير الحرب ضليعا فى دائرة تضم كريستين كيلر وستيفن وارد الذى اعترف بأنه وسيط سوفيتى والكولونيل إيفانوف الملحق السوفيتى.

وكنت أتمنى أن يلجأ رئيس الوزراء إلى اتخاذ إجراءات حاسمة فى هذا الشأن.. إننى أساله الآن: كم مرة التقيت مع الوزير بروفيمو لمناقشة الأمور طوال العامين الماضيين؟

هل تقبل الآن الاعتراف بأنه كانت هناك مخاطر أمنية طوال هذه الفترة؟ هل قامت السلطات بمراقبة ستيفن وارد وإيفانوف وكيلر وبروفيمو؟ ومتى تمت مراقبتهم؟ هل استجويت سلطات الأمن الآنسة كيلر؟ ومتى حدث ذلك؟ ماهو تأثير الأحداث على علاقاتنا بحلفائنا؟ ولماذا لم تطرد الحكومة إيفانوف باعتباره شخصية غير مرغوب فيها؟ وأخيرا متى عرف رئيس الوزراء لأول مرة بالشائعات حول وزير الحرب وعلاقته بكريستين كيلر؟ وفى أى تاريخ؟ ومن الذى أخبره بذلك؟».

اختتم هارولد ويلسون خطابه بتقديم الإجابات عن هذه الأسئلة التى طرحها مؤكدا أن أجهزة الأمن لم تعرف شيئا عن علاقة إيفانوف وكيلر وبروفيمو حتى غادر البلاد فى ظروف لم تسمح بالتأكيد، إذا ما كان قد حدث اختراق لمقتضيات الأمن القومى.. ولكنه فى نفس الوقت أبرز ذلك القصور فى إجراءات الحكومة لأنها لم تستعن بإدارة المخابرات البريطانية التى تعنى بمقاومة الإرهاب.

الفصل الخامس

ماكميلان يقاوم هجمات المعارضة ويصمم على الاستمرار فى الحكم

الإعداد لنقل الأحداث
من الواقع للسينما

تعمد هارولد ويلسون زعيم المعارضة العمالية فى مجلس العموم أن يختتم مداخلته حول فضيحة كريستين كيلر وعلاقتها بوزير الحرب جون بروفيمو فى حكومة المحافظين التى كان يترأسها هارولد ماكميلان بجرعة من التهكم لإثارة أعضاء المجلس قائلا:

«إننى لم أتطرق بعد إلى ذلك التحدى الأخلاقى الذى تواجهه هذه الأمة.. ولكن الصحف تحدثنا كل يوم عن تلك الفتاة من بنات النوادى الليلية أم لعلنى يجب أن أشير إليها باسم آخر وهو الآنسة «كريستين كيلر ليمتد» فتاة من فتيات الليل تحصل على مرتب ٥٠٠٠ جنيه استرلينى فى الأسبوع.. وهو راتب يبرز مظاهر العفن فى مجتمعنا إذا عرفنا أن هذا الراتب يعادل ٢٥ ضعفا لراتب رئيس الوزراء و٢٥٠ ضعفا لمرتب الوزير و٥٠٠ ضعف الراتب الذى يحصل عليه القس من رجال الدين»..

ماكميلان.. يعترف

جلس ويلسون بعد ذلك فى مكانه فى مقدمة مقاعد المعارضة وسط عاصفة مدوية من التصفيق.. وما إن هدأت العاصفة حتى نهض ماكميلان فى صمت دون أن تصدر أى أصوات مشجعة.. وتقدم بهامته المديدة الوقورة ليتكلم بصوته المميز وبنبرة الطبقة العليا البريطانية.. ولم تظهر على وجهه علامات إجهاد أو توتر باستثناء ما رسمه الزمن على وجهه من علامات التقدم فى السن حتى ظهر أكبر سنا من حقيقته.

وما إن بدأ يتحدث حتى أنصت الجميع فى اهتمام وهو يتكلم بلهجة شابتها المرارة كرجل جرح جرحاً عميقا قائلاً: «إننى لا أذكر طوال حياتى فى التاريخ السياسى حالة مماثلة لوزير من وزراء التاج البريطانى، تعمد أن

يكذب على زوجته وعلى مستشاريه القانونيين وعلى زملائه في الوزارة ليس لمرة واحدة ولكن لمرات عديدة.. ثم ليعيد نفس الأكاذيب هنا فى قاعة مجلس العموم البريطانى، بل والأدهى من ذلك كله أنه تجرأ واتخذ إجراءات قضائية ويتقاضى تعويضات حكم له بها». ثم ضرب هارولد ماكميلان بيده على الطاولة التى أمامه ليقول: «إن هذا لا يصدق.. ولكن للأسف تلك هى الحقيقة».

استطرد رئيس الوزراء البريطانى فى حديثه ليقول إنه بعد أن كثرت الشائعات طلب من وزير المالية لورد دبليهورن أن يجرى تحقيقا حولها، اعتقادا منه أن جون بروفيمو صادق فى أقواله ثم تساءل فى مرارة قائلا: «أى جريمة أفظع من جريمة رجل يتعمد الكذب ويخدع زملاءه الذين وثقوا فيه»..

استعراض الأحداث

واستعرض ماكميلان ظروف معرفته لهذه الأحداث عقب عودته من زيارة رسمية لروما فى فبراير ١٩٦٣ عندما حضر إليه السيد «مارك شابمان ووكر» مدير إحدى الجرائد القومية ليقابله، إحساساً منه أن من واجبه إحاطة رئيس الوزراء سرا بتلك الشائعات التى كانت تتردد حول بروفيمو وكريستين كيلر وإيفانوف.

وقال إنه نقل هذه المعلومات إلى أجهزة الأمن وإلى السيد بلايت سكرتير عام رئاسة الوزراء الذى كلفه بمقابلة وزير الحرب والتحدث إليه بشأن تلك الشائعات وأن الأخير نفاها نفياً قاطعاً.. وإن كان قد أقر أنه التقى كريستين فى قصر اللورد استور وكذلك فى شقة ستيفن.. ولكنه قال أيضا

إنه قطع علاقته بها قبل عامين بسبب تحذير كان قد تلقاه من سير نورمان بروك رئيس جهاز الأمن والمخابرات البريطانية الذى حذره من أن علاقته بستيفن تتناقض مع مقتضيات الأمن.

معلومات جديدة

وأدلى رئيس الوزراء البريطانى فى رده على ويلسون بمعلومات جديدة لم تكن معروفة للرأى العام، خاصة ظروف تعرف إيفانوف بالدكتور ستيفن، وقال إنهما التقيا سويا لأول مرة فى حفل غداء فى نادى جريك فى يناير عام ١٩٦١ .. وأوضح أن ستيفن قد حذرته أجهزة الأمن والمخابرات العامة من أنه يجب عليه الاحتياط والحذر خلال علاقته بالملحق الروسى.. ولم تكن المخابرات العامة أو رئيسها نورمان بروك يعرفون شيئا عن الآنسة كيلر أو عن علاقتها بستيفن وارد.

وكان سير نورمان بروك قد حذر أيضا وزير الدولة للحرب فى ٩ أغسطس ١٩٦١ .. وعلى الرغم من ذلك واصل جون بروفيمو لقاءاته فى شهر ديسمبر بعد تلقيه ذلك التحذير من سير بروك.

الاتهامات

واصل ماكميلان حديثه فى مرارة ليقول: «يتعين على أن أخبر مجلس العموم أن نورمان بروك لم يخبرنى بشىء عن هذه الحقائق ولا عن المعلومات التى كانت قد وصلته، اعتقادا منه أن تحذيره لوزير الحرب إنما هو تحذير ودى من منطلق الصداقة بينهما.. ولم ير حاجة لإخبارى بذلك..

ولعل هذا هو أول اتهام يوجه إليّ لتقصيرى فى واجبى.. وهو اتهام عار من الصحة تماما». فى هذه اللحظة ارتفعت هتافات أعضاء المجلس من المحافظين فى أول بادرة تأييد لرئيس الوزراء منذ بدأ كلمته.. ثم استطرد يقول: «للأسف هذه هى حقيقة الأوضاع كما حدثت.. ولا أظن أن من واجبى أن أراقب الحياة الخاصة للوزراء وكبار المسئولين فى الدولة أو أضعهم تحت الرقابة المستمرة ليل نهار.. وإلا كان نظام حكمنا ضربا من ضروب الديكتاتورية». ثم تحدث عن لقاءات بروفيمو بكل من رئيس جهاز الأمن وبعض رجال القانون إلا أن ماكميلان لم يسأل بروفيمو شخصيا بهذا الشأن، لأنه وجد أن وزير الحرب قد يتكلم بحرية أكثر إلى من أوفدهم إليه.. وأكد أنه وجد نفسه فى موقف يمتلىء بالشائعات والأقاويل حول بروفيمو.. وهى أمور أنكرها ذلك الوزير إنكارا تاما، وإنه فيما لو كان قد طلب من ذلك الوزير الاستقالة نتيجة لمثل هذه الشائعات لكان قراره ظالما ولو أنه أكرهه على الاستقالة.. بمنأى عن تلك الشائعات لتولد إحساس بالتعاطف معه كرجل مظلوم ويعامل معاملة غير عادية. ثم تطرق فى حديثه إلى القضية السابقة وهى قضية الجاسوس فاسال التى راجت بشأنها شائعات واتهامات ضد عدد من الوزراء.. وظهر فى النهاية أنها غير حقيقية.. لذا فإنه كان يعتقد أن نفس الظلم قد يتكرر إذا ما أصر على استقالة جون بروفيمو فى تلك المرحلة. استمر ماكميلان فى تناول نقاط النقد والاتهامات التى وجهها هارولد ويلسون ليفندها واحدة بعد أخرى حتى انتهى إلى قوله: «كانت أول مرة أعرف فيها من خلال السلطات المسئولة أن الدكتور ستيفن وارد كان يستخدم كيلر كأداة للحصول على المعلومات، فى ٢٠ يناير. عندما قال رئيس الوزراء ذلك ارتفعت صيحات الاستنكار من صفوف المعارضة. لكن ماكميلان لم يكترث وواصل كلمته ليقول: «لم

ترفع أجهزة المخابرات أى تقارير إلىّ بهذا الشأن حتى أوائل فبراير.. وإنه لمن المؤسف ألا أحاط علما بذلك إلا فى وقت متأخر لأنه يبدو أن رئيس جهاز المخابرات لم يعط هذا الأمر الأهمية المناسبة».

أمور خطيرة

ثم استطرد: «لقد نسبت إلىّ أمور خطيرة يتعين على أن أجيب عنها. والاتهام المنسوب أن أكون قد تسلمت معلومات ولم أتخذ التصرف المناسب إزاءها أو أنه يتعين علىّ أن أعرف بتلك الحقائق.. وفى هذا الشأن أشير إلى دور السيد «مايكل أيدوز» وما عرفت عن تصرفاته فيما بعد من أنه فى ٢٤ مارس عندما كانت كيلر خارج البلاد التقى بوالدتها السيدة «هويش» التى تقدمت مختارة إلى شرطة باكنجهام شاير لتخبرهم بما دار بين هذا المحامى «مايكل أيدوز» وبينها عندما حضر لزيارتها، ليخبرها أنه قلق بشأن أمن ابنتها كريستين وعرض مساعدته عليها.. واقترح عليها أن تقنع ابنتها أن تبلغ بما عرفته عن الملحق البحرى إيفانوف ومحاولته إقناعها للحصول على معلومات من وزير الحرب السيد بروفيمو.

وحاول أن يقنعها أنها لو فعلت ذلك ستحمى نفسها من المسئولية.. بل ولوح لها أنها يمكن أن تحصل على مبلغ يتراوح ما بين ٥٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ جنيه إذا باعت قصتها للصحافة.. هذا فضلا عن أن ابنتها ستكون عندئذ بمثابة البطلة فى نظر الشعب البريطانى. وبعد ذلك ببضعة أيام التقى أحد كبار مفتشى اسكتلنديارد بالمحامى المذكور فى منزله بلندن، حيث قدم له المحامى مذكرة تتضمن أن كريستين كيلر كانت تلتقى فى شقة وارد مع كل من إيفانوف وبروفيمو على التبادل.. وأبلغه أيضا أن إيفانوف يحاول

الحصول على معلومات عن الرؤوس الذرية .. فأبلغه مفتش اسكتلنديارد أن تلك المعلومات ستوضع فى أيدى المسئولين.

نغمة اعتذار

وتحدث رئيس الوزراء عن استقالة وزيره جون بروفيمو.. ودافع عن نفسه قائلا:

«أما بالنسبة للاتهامات التى نسبت إلىّ لسوء اختيار الوزراء فهى بدورها عارية من الصحة، لأن السيد بروفيمو كان أحد رجال الجيش الذين يتمتعون بسجل حافل وطيب، منذ كان ضابطا صغيرا عام ١٩٠١ .. وشق طريقه فى صفوف قيادة الجيش».

واصل ماكميلان حديثه بنغمة مريرة طوال أكثر من ساعة.. وعندما قارب خطابه على الانتهاء، سادته نغمة اعتذار واختتم خطابه بالقول: «إخوانى المحترمين.. لقد خدعت خداعا كبيرا.. وقد خدع مجلس العموم ولكننى أود أن أقول إننى أتطلع إلى تفاهمكم وتعاطفكم وثقتكم قبل أى شىء آخر».

متحدثون.. ومعلومات إضافية

توالى المتحدثون بعد ذلك فى الجلسة، وهم عدد من الوزراء من مختلف الاتجاهات والأحزاب، كل منهم يدلى بدلوه ويعبر عن رأيه ما بين ناقد للحكومة وبين مصلح ينادى بالتغيير.. وكان من بين المتكلمين «جورج

ويغ، الرجل الذى كانت له مساهمته فى كشف الحقيقة، وهو الرجل المغرم بالظهور وسط الأحداث الجسام ليكشف فى كل مرة أنه مازال فى جعبته الكثير.. ولعله كان من أهم المتحدثين.. فقد أضاف فى كلمته بالفعل معلومات جديدة، فذكر أنه كان قد سأل دكتور ستيفن وارد عن آخر مرة التقى فيها بالسيد بروفيمو، فأبلغه أنه كان قبل ذلك بثلاثة أسابيع فى مدينة دورشستر، وأثناء لقائهما كان قد سأل الوزير إن كان يعرف الآنسة كريستين كيلر.. فلما قال له بروفيمو إنه لايعرفها اقترح عليه أن يلتقى بها.

ثم علق بعد ذلك الكولونيل ويغ على شخصية الكابتن إيفانوف وما عرف عن ممارسته للعبة البريدج.. وهو موضوع أثير فيما بعد أثناء محاكمة الدكتور وارد بعد بضعة أسابيع.. وقال الكولونيل إن إيفانوف كان لاعبا ماهرا.. ولكن الغريب أنه كان يخسر فى كل مرة ما بين ٢٠ ـ ٥٠ جنيها فى كل ليلة يلعب فيها البريدج.

استطرد الكولونيل ليقول: «إننى لا أعرف الكثير عن الاتحاد السوفيتى ولا عن السفارة السوفيتية فى لندن.. ولكننى على ثقة أنها كانت تعوض إيفانوف عن خسائره كل ليلة.. ولا أعتقد أنها كانت تبعثر نقودها إلا إذا كانت تحصل على شىء مقابل ذلك.

فالكابتن إيفانوف كان يغرى دكتور ستيفن وأصدقاءه عندما كان يخسر لحسابهم.. كما أن السفارة السوفيتية كانت تغطى هذه الخسائر وهو أسلوب معروف فى لعبة الجاسوسية.. ولا أظن أننا نجهل طبيعة الدبلوماسيين السوفييت هنا فى لندن.. فهم نادرا ما يرتبطون بأحد فى علاقة اجتماعية إلا ودافعهم التجسس.. ولا أظن أن دكتور وارد كان تلك الشخصية الاجتماعية الساحرة التى تجعل من عميل شيوعى يحرص على مصادقته

أو أن يشاهد معه علانية فى مجتمعات لندن ما لم تكن له دوافع خفية».

انتهى الكولونيل ويغ فى خطابه الحماسى بالدعوة إلى إعادة الثقة فى الجيش وفى قيادته السياسية وإلى بذل جهد كبير فى تغيير شامل لإدارة المخابرات البريطانية.

اعتراض على التسمية

لعل من أطرف ماقيل خلال هذه الجلسة ما قاله أحد الأعضاء معترضا على تسمية كريستين كيلر بالآنسة والحرص على ذكر لفظ «آنسة» فى كل مرة يذكر فيها والإصرار على تسميتها اسمها.. وقال محتدا وقد احمر وجهه: «وإن الإصرار على تسميتها بهذا الاسم قد يخجل الكثير من الآنسات المهذبات اللاتى تحملن هذا اللقب».. واقترح أن كل من يتحدث عنها، عليه ألا يسبق اسمها بكلمة آنسة، فهذه التسمية تقتصر على الفتاة المهذبة العذراء.. فاستخدام لفظ آنسة مع كريستين كيلر هو تصرف ظالم وغير عادل بالنسبة للملايين من الآنسات المهذبات.

أسماء بديلة

لم تنجح هذه الخطب الدفاعية فى إضعاف الحملة التى كانت تنادى باعتزال هارولد ماكميلان.. ومرة أخرى بدأ التفكير فى أسماء بديلة..

واقترح اسم لورد هاليشام ولورد هيوم والسيد هيث وغيرهم.. وفى ختام الجلسة تصاعدت الهتافات من صفوف المعارضة لتقول: «استقل.. استقل».. أما فى مجلس العموم البريطانى فقد تولد شعور صار يتزايد يوما

بعد يوم من أن هارولد ماكميلان لن يعتزم الاستقالة وأنه لن يترك مقعد الرئاسة إلا بعد انقضاء الفترة التى انتخب من أجلها.

محاكمة ستيفن

بعيدا عن قصر وستمنستر والمناخ السياسى به.. وفى الوقت الذى كان فيه ماكميلان يواجه تلك الرياح العاصفة اقتيد ستيفن وارد إلى محكمة ماليبرو فى بداية يوم ١٧ يونيو، وكان أول ما حدث فى هذه المحاكمة المبدئية التى تسبق عادة المحاكمة الرئيسية فى محكمة الجنايات أن وقف مفتش المباحث «صمويل هربرت» المكلف بتولى هذه القضية ليعترض على فكرة إخلاء سبيل ستيفن بكفالة مالية..

وقال للقاضى: إن إخلاء سبيله قد يؤدى إلى هروبه أو أن يمارس الضغوط على الشهود.. فقد حدث قبل إلقاء القبض عليه أن اتصل أكثر من مرة بأحد الشهود.. وسأله القاضى: «ومن هو الشاهد الذى اتصل به؟» أجاب المفتش: «كريستين كيلر».. فقد كنت أزورها فى منزلها لآخذ معلومات منها فى الوقت الذى اتصل بها تليفونيا.

ثم حدث بعد إلقاء القبض عليه اتصال آخر بشهود آخرين. هنا اعترض جيمس بورج محامى ستيفن ليقول لمفتش المباحث: «لا أظنك تدعى أنه اتصل بالشهود أثناء وجوده بالسجن».

كريستين فى السينما

وانتهت هذه الجلسة المبدئية بأن رفض القاضى الإفراج عن ستيفن

بكفالة حتى لايهرب أو يؤثر على الشهود.. وأعيد اقتياده إلى السجن الاحتياطى حيث احتجز رهن المحاكمة.. وفى نفس الوقت كانت كريستين كيلر تواصل خطواتها الناجحة لتصوير فيلم عن حياتها بتعزيز من «نيكولاس لورد» الشاب الثرى الذى كان يدير أحد النوادى فى حى سوهو شارع الرذيلة فى لندن.. وكان قد رفض هذا الشاب كل الضغوط التى مورست معه ليعدل عن إنتاج هذا الفيلم قائلا: «لقد عثرت على قصة بالغة الإثارة تعتمد فى أساسها على فساد أبناء الطبقة الأرستقراطية من الأغنياء وتأثير ذلك على فتاة صغيرة.. وأشعر أن الفيلم سيصور ذلك كله تصويرا كاملا ودقيقا.. كما أن الأحداث تحمل كل أسباب النجاح.. ففيها الكثير عن الحياة الحقيقية للسياسيين والطبقة الأرستقراطية..وبها عناصر الجاسوسية السوفيتية والدبلوماسيين.. ولن أجد أفضل منها لفيلم ناجح.. إننى لا أعتزم أن أشير إلى الشخصيات بأسمائها الحقيقية.. ولكن المشاهدين سيعرفونهم من خلال الأحداث».

أبطال الرواية

لم تكن كريستين كيلر وحدها المشتركة فى هذا العمل السينمائى.. فقد تعاقد منتج الفيلم قبل ذلك مع دكتور ستيفن وارد باعتباره مستشارا للقصة، بل وتعاقد أيضا مع «لاكى جوردون» و «جون إيدجكومب».. كان من المقرر أن يجرى تصوير الفيلم فى الدانمرك فى نهاية يونيو.. ولكن قبل التصوير رفضت نقابة الممثلين الطلب المقدم من كريستين لتسجيلها فى النقابة.. كما أن صحافة كوبنهاجن انتقدت وزير الإعلام الدانمركى بسبب إصداره تصريح دخول كريستين لتصوير فيلم عن حياتها.

لكن كل هذه العقبات لم تثبط من همة المنتج الثرى نيكولاس لورد الذى باشر فى إجراء اختبارات لكريستين فى استوديو إحدى الشركات لإعدادها للتصوير.

اختفاء بروفيمو

فيما كان دكتور وارد بالسجن وكريستين كيلر ولاكى جوردون وإيدجكومب يستعدون للعمل فى الفيلم، كان جون بروفيمو قد اختفى عن الأنظار تلاحقه الصحافة التى كان مندوبوها ينبشون الأرض بحثا عنه.. ولعل من أطرف ماحدث فى هذا الصدد أن عجوزا ثرية فى الخامسة والسبعين تدعى «كيلف فيلد» اتصلت بالشرطة مستنجدة لإنقاذها من جموع الصحافيين والمصورين الذين أحاطوا بيتها ودخلوا حديقة منزلها اعتقادا منهم أن بروفيمو يقيم معها.. وخرجت إليهم هذه الأرملة العجوز تصيح فى غضب لتقول: «إننى لا أعرف جون بروفيمو ولا أريد أن أعرفه».

تنقل الصحافيون من مكان إلى آخر عند سماعهم لأية شائعة حول بروفيمو، ولم يسمع عنه شيء حتى أصدر محاميه بيانا منه وزع على الصحافة.. وهو تصريح يعبر فيه عن عميق ندمه.. وعندما عاد إلى منزله فى سيارته الزرقاء استقبل بنظرات باردة من بعض المارة الذين توقفوا ليلقوا عليه وعلى زوجته تلك النظرات الساخطة فى صمت.. ولكن زوجته الممثلة السابقة نزلت فى ثقة وهى ترتدى قفازها الأبيض التقليدى لتفتح باب بيتها ليدخلا فى هدوء.. وحرصا بعد ذلك على الاختفاء عن الأنظار.

لجنة تقصى الحقائق

أما فى إطار التطورات السياسية الأخرى فقد أعلن هارولد ماكميلان فى ٢١ يوليو فى مجلس العموم عن تشكيل لجنة لتقصى الحقائق معلنا على أعضاء المجلس قائلا: فيما يتعلق بالأحداث الأخيرة وماتردد من شائعات حول النزاهة والشرف فى هذه الدولة، وللتأكد مما إذا كان قد حدث ما يعد خرقا لاحتياطات الأمن القومى، فقد قررت مراعاة للصالح العام تشكيل لجنة قضائية برئاسة لورد «ديننج» أمين وثائق مجلس العموم البريطانى الذى سيشرف على هذا التحقيق على وجه السرعة، ويتلخص واجبه فى تدارس الظروف التى أدت إلى استقالة وزير الدولة لشئون الحرب.. وكذلك أنشطة المخابرات ومدى التعاون بين جهاز المخابرات والشرطة فى مسائل الأمن.، وله الحق أيضا فى التحرى والتحقيق فى أية أمور أخرى يراها وثيقة الصلة بتلك الأحداث إذا ما كانت تهدد الأمن القومى.

الفصل السادس

أخيراً أدلت كريستين بشهادتها وروت للمحكمة تفاصيل علاقتها

تقرر أنه بعد انتهاء لجنة تقصى الحقائق أن يناقش رئيس الوزراء مع زعيم المعارضة تقريرها، ويقرر إن كان سينشر كاملا أو جزئيا. وبدأ لورد دينج تحقيقاته. وقد سأل الكثيرين، من بينهم جون بروفيمو ولورد استور صاحب قصر كليفدن حيث التقى بروفيمو مع كريستين فى أول لقاء ساخن بينهما.. وشوهد لورد دينج فى أماكن عديدة.. كما كان يستقبل كل يوم عددا من ضباط الشرطة ويتنقل فى سيارة صغيرة بصحبة عدد من الشرطة السرية التى كانت تتولى حراسته، خاصة بعد أن تلقى تهديدين بالقتل من مجهولين اتصلا به تليفونيا.. فضلاً عن خطابات التهديد التى كان يتلقاها وكان يسلمها للشرطة.

مخاوف أمريكية

كان لهذه الأحداث صدى واسع خارج البلاد خاصة فى أمريكا حيث أثيرت انتقادات عديدة حول كفاءة أجهزة الأمن والتخابر البريطانية بعد أن عرف أن كريستين وصديقتها مارلين رايزديفيز كانتا قد زارتا نيويورك فى العام السابق ونزلتا فى فندق يرتاده دبلوماسيون من الأمم المتحدة.

فى هذه الفترة كانت هناك أحداث كثيرة إزاء الأمن القومى الأمريكى.. فقد ألقت المباحث الفيدرالية القبض على إحدى مراسلات الأمم المتحدة «إيفلين يافونى دافيز» بتهمة إنشاء شبكة للرذيلة، حامت حول الدبلوماسيين فى هيئة الأمم المتحدة، واعتقلت شقراء فى التاسعة عشرة من عمرها تدعى «ماريا ديفوتنى»، تدعى أنها ابنة شقيقة رئيس تشيكوسلوفاكيا أونيت، بتهمة الدعارة وحكم عليها بالسجن لمدة عامين فى الوقت الذى تردد أن أنشطتها كانت لأهداف تجسسية.

وكانت الصحف تتابع مانشر عن أحد رجال الشبكة التليفزيونية البريطانية «بى . بى . سى» ويدعى هارى آلان تاورز الذى اتهم باتهامات جنسية .. وهرب دون سداد الكفالة .. وعرف بعد ذلك أنه اختفى وراء الستار الحديدى فى روسيا .

كانت لبعض هؤلاء الشخصيات علاقات بأطراف أخرى فى بريطانيا مما أعطى الانطباع بوجود شبكة تجسس عالمية لحساب الاتحاد السوفيتى .. وتزايدت تلك المخاوف عندما تأكدت السلطات الأمريكية أن بعض رجال قواتها المسلحة العاملين فى بريطانيا كانوا على علاقة بكريستين كيلر .. واستدعت المخابرات الأمريكية ثلاثة من رجال الطيران الأمريكى العاملين فى بريطانيا وأمرتهم بالعودة إلى أمريكا لسؤالهم فى تحقيقات أمنية كما أجريت لهم اختبارات بأجهزة كشف الكذب ..

أثير بعد ذلك فى مجلس العموم البريطانى الكثير من النقاط ووجهت أسئلة إلى وزير الداخلية «هنرى بروك» حول استدعاء مارلين رايز ديفيز إلى البلاد بالطائرة على نفقة الدولة .. وأجاب بأنها شاهدة رئيسية لا تقل أهمية عن كريستين كيلر .. ووجهت أسئلة عديدة انتقادية لوزارة الداخلية حول إجراءات تأمين وإقامة شهود هذه القضية .

ارتفاع صوت المعارضة

أما المعارضة فقد ارتفعت أصواتها لتقول إن تعيين لورد ديننج رئيسا للجنة التحقيق إنما هو إخفاء للحقائق وليس لكشفها .. ولكن اللورد ديننج واصل جهوده فى جدية بما عرف عنه من أنه رجل لايتردد فى الحق .. ولا يكترث بما يرتفع حوله من صيحات .. وقد أصدر نداءً لكل من لديه

معلومات أو صور فوتوغرافية بما فى ذلك رجال الصحافة أن يرسلوها إليه على عنوانه الذى نشره فى الصحف.

محاولة لإقحام الأمير فيليب

لم تتوقف الصحافة البريطانية عن انتهاز هذه الموجة قبل فوات الأوان والاستفادة منها فى رفع معدلات التوزيع.. ولعل من أطرف مانشر فى هذا الصدد ما نشرته الديلى ميرور فى عددها الصادر فى ٢٤ يونيو ١٩٦٣ بخطوط عريضة وبأحرف كبيرة فى صدر صفحتها الأولى وهو الخبر الذى يقول: «الأمير فيليب وفضيحة بروفيمو» ولكن فى الجزء السفلى من الصفحة وبحروف يعد سمكها ربع سمك الأحرف التى كتب بها العنوان كتبت تقول: «الشائعات حول هذا الموضوع عارية تماما من الصحة».

أما النص الذى نشرته فكان كما يلى: «إن من أسوأ الشائعات التى راجت هذه الأيام فضيحة بروفيمو، إن لهذه الفضيحة علاقة بالعائلة المالكة خاصة الأمير فيليب.. وهى شائعة عارية عن الصحة تماما.. ولعل مرجع الشائعة أن الدكتور ستيفن وارد والذى يعرف بأنه طبيب عظام إلا أن موهبته الحقيقية هى فى الرسم كفنان موهوب.. كما أنه بهذه الصفة اتصل بثلاثة من أعضاء الأسرة المالكة لرسم صور زيتية لهم.. وهؤلاء الأعضاء الثلاثة هم الأمير فيليب دوق أدنبره والأميرة مارينا والأميرة الكسندرا.

الديلى ميل.. ترد وتنشر

فى اليوم التالى صدرت جريدة الديلى ميل لتنتقد الأسلوب الذى اتبعته

الديلى ميرور باستغلالها هذه الموجة ونشرها هذه الأخبار بالطريقة التى ظهرت بها على صفحاتها الأولى.. وهو اتجاه وصفته بأنه يفتقر إلى الذوق والكياسة.. ولكن فى الحقيقة لم تكن الديلى ميل أقل جشعا من الديلى ميرور لأنها انتهزت هذه المناسبة لتعلن بدورها تحت عنوان «ستيفن وارد والعائلة المالكة» تفسيرا للخبر الموجز الذى نشرته الديلى ميرور، فقالت إن اللوحات التى رسمها الدكتور ستيفن لأفراد من الأسرة المالكة كانت بناء على طلب من رئيس تحرير مجلة مرموقة، وأن تلك كانت هى العلاقة الوحيدة والتى اقتصرت على رسم هذه الرسومات لهم.. وأن القول بغير ذلك أو ترديد أى شائعات يربط مابين الأسرة المالكة وستيفن إنما هو من قبيل الشائعات الكاذبة.. فالأمير فيليب جلس لمدة نصف ساعة فقط أمام ستيفن لرسم صورته فى قصر باكنجهام.. أما الأميرة مارجريت ودوقة كنت والأميرة مارينا والأميرة الكسندرا فقد تم رسمهم فى جلسات منفصلة لم تستغرق أكثر من نصف ساعة فى قصر كينسنجتون.. أما دوق ودوقة شلوستر فقد جلس كل منهما أمام ستيفن قرابة نصف ساعة أخرى أمام منزلهما فى قصر سان جيمس.. ولم يحدث أن التقى ستيفن بعد ذلك بأى فرد من أفراد الأسرة المالكة.

أضافت الديلى ميل أيضا أن ستيفن كان يعالج سير ونستون تشرشل بصفته طبيب عظام وأقنعه بقدراته كرسام ليساعده على إقامة معرض له فى لندن، كما أن سير «بروس انجرام» كان بدوره من المرضى الذين يعالجهم الدكتور وارد.. وكان أيضا صديقا للعائلة المالكة، لذا فقد زكاه لرسم تلك اللوحات للمجلة التى كان يرأس إدارتها وهى مجلة «لندن المصورة».. وحصل على إذن من القصر الملكى لستيفن لرسم أعضاء الأسرة المالكة المذكورين.

العودة لمحاكمة ستيفن

بدأت محاكمة ستيفن وارد فى ٢٨ يونيو أمام محكمة ماريلبورن وهى القضية التى كان يتابعها كل العالم بشغف.. وقد اصطفت طوابير طويلة من الجمهور يأملون فى أن يجدوا فرصة لدخول القاعة لحضور المحاكمة المبدئية التى سيتقرر بعدها تقديمه إلى محكمة جنايات أولد بيلى..

بدأت الجلسة وكان أكثر من ٢٠٠ شخص يرتدون ملابسهم كاملة ويقفون أمام أبواب القاعة المغلقة، إذ كانت تنهمر عليهم الأمطار بعد أن امتلأت القاعة عن آخرها.. كما اكتظت بمندوبى الصحافة وعدد كبير من المشاهدين منهم نساء مسنات وقفوا ساعات طويلة حتى استطاعوا أن يجدوا لهم مكانا فى القاعة.

بدأ «ميرفين جريفيث» ممثل الادعاء يعرض على المحكمة الاتهامات الثمانية الموجهة إلى المتهم ستيفن.. وكان قد اتفق مع «جيمس بورج» محامى المتهم على ألا يذكر أسماء بعض الأشخاص الواردة أسماؤهم فى التحقيقات بشكل علنى تجنبا لفضحهم.. ووافق القاضى «ليو جرادويل» على هذا الاتجاه ثم واصل ممثل الادعاء «جريفيث» عرض القضية منذ بداية نشاط المتهم عام ١٩٥٨ حتى إلقاء القبض عليه فى يونيو ١٩٦٣ .

وقال جريفيث إنه خلال الفترة مابين ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ ارتبط ستيفن بكل من كريستين كيلر ومارلين ديفيز أثناء إقامة المذكور فى مسكن له فى منطقة أورم كورت ثم انتقلتا معه إلى مسكنه فى منطقة وينبول وأن الأدلة تؤكد أنه كان يقدم الرجال لهما.. وأنه كان يتعيش على ماتكسبه هاتان المرأتان من الرذيلة. كما وجه له الاتهام بالاشتراك فى إجهاض امرأتين بشكل غير قانونى.

واستعرض ممثل الاتهام علاقة المتهم بكريستين كيلر منذ أن التقى بها وهى تعمل راقصة فى كباريه موراى - أحد الملاهى الليلية - وشرح كل التفاصيل المتعلقة باستغلالها فى الرذيلة.

ثم انتقل إلى علاقة المتهم بمارلين رايز ديفيز التى كانت تعمل فى نفس النادى الليلى عندما عرفتها كريستين كيلر بستيفن وارد.. وعاشوا جميعا فى شقة المتهم.. كما قال ممثل الادعاء إن كريستين كانت تحضر له بعض الفتيات.. وأضاف أيضا إن كريستين كانت تدفع له جزءا من النقود التى كانت تحصلها من ممارسة البغاء.. كما كان يوجهها إلى منازل بعض الرجال.

وقال جريفيث أيضا إنه لن يكشف عن أسماء الفتيات اللاتى أحضرتهن كريستين للمتهم.. ولكنه استطرد فى الحديث عن كل فتاة منهن وقد رمز لكل منهن برمز خاص وبحرف من حروف الهجاء.. لأن حالة كل منهن كانت تمثل اتهاما مستقلا من الاتهامات الثمانية الموجهة إلى ستيفن إلى جانب التهمة الأولى وهى أنه كان يتعيش على مكاسب الرذيلة التى تمارسها كريستين ونساء أخريات، إلى جانب التهمة الثانية وهى تحريض كريستين على ممارسة البغاء.. وكذلك تحريض فتاة أخرى يقل عمرها عن ٢١ عاما على ممارسة نفس المهنة، مما يوقعه تحت طائلة قانون مكافحة الدعارة الصادر عام ١٩٥٦.

كانت كريستين كيلر هى أول شهود الإثبات فى هذه القضية ودخلت قاعة المحكمة برداء جذاب وقد انسدل شعرها الكستنائى على كتفيها.. ووقفت لتجيب عن الأسئلة بصوت خافت لتروى كل التفاصيل منذ قدومها إلى لندن ومقابلتها دكتور ستيفن فى الملهى الليلى.. وتوالت الأسئلة

والأجوبة عن طبيعة علاقتها.. ولكنها قالت إن علاقتها بستيفن كانت كالعلاقة بين الأخ وشقيقته. لذا فقد كانت لاتعارض أن تأتى له بالفتيات.. كما أنها كانت تنصاع لما كان يقوله لها وتدفع له جزءاً من الأموال التى تحصل عليها نتيجة ممارستها البغاء..

واعترفت كريستين كيلر بعلاقتها الجنسية مع إيفانوف ومع جون بروفيمو ضمن آخرين.. ولما سئلت عن سبب سفرها إلى أمريكا، أجابت بأنها كانت تتمنى أن تشق لنفسها طريقا آخر فى الحياة بعيدا عن ستيفن الذى كان يسيطر على كل دقيقة من حياتها منذ أن تستيقظ حتى تأوى إلى فراشها.

وتطرقت فى أقوالها إلى ظروف تعرفها بصديقتها مارلين رايز ديفيز.. كما أسهبت فى ذكر كل التفاصيل المشينة لهذه الحلقة.. وقد استغرق استجوابها وقتا طويلا.. ولكنها لم تذكر أسماء الرجال الضالعين فى الفضيحة سوى لورد استور الذى التقت فى قصره مع بروفيمو لأول مرة.

مفاجـــأة

وكانت المفاجأة أن جاء على لسانها ذكر لاسم شخصية مشهورة فى الأوساط العليا الإنجليزية وهو «دوجلاس فيربانكس» الشخصية الشهيرة فى أرقى الأوساط البريطانية التى ما إن ذكرت اسمه حتى ارتفعت الهمهمة فى صفوف الحاضرين.

جاء بعد ذلك دور الشاهدة الثانية مارلين ديفيز الشقراء طويلة القامة التى كانت ترتدى رداء قرمزى اللون ومعطفا أسود أنيقا.. تمسك فى يدها

قفازات بيضاء تطويها بين أصابعها بين الحين والحين.. وأخذت تروى بدورها تفاصيل علاقتها بستيفن منذ أن عرفتها به كريستين كيلر.

وجاء فى أقوالها أن الدكتور وارد كان قد عرض عليها الزواج ولكنها رفضت.. وتحدثت عن المكاسب التى كانت تجنيها من ممارسة البغاء.. وأكدت أن ستيفن وارد كان يحصل على نصيبه من تلك المبالغ.

عندما انتهت كل من الشاهدتين من الإدلاء بأقوالهما واحدة بعد الأخرى، كانت مشكلة رجال الشرطة هى إخراجهما من قاعة المحكمة وسط الجماهير الحاشدة والمكتظة عند باب المحكمة.. وعادت الشاهدتان فى اليوم التالى للإجابة عن أسئلة «جيمس بورج» المحامى الذى حاول أن يجد منفذاً بأسئلته لنفى التهمة عن المتهم.. وتطرق فى أسئلته عن كل تهمة من واحدة إلى أخرى بالنسبة للفتيات اللاتى استدرجهن المتهم.

شاهدة مجهولة

استدعيت بعد ذلك شاهدة أخرى وهى فتاة نمساوية لم يذكر اسمها.. وجاءت تدلى بأقوالها، بما يؤكد أن المتهم استغلها فى البغاء بدورها. وفى الأيام التالية توالى استدعاء فتيات أخريات. وحفلت المحكمة المبدئية بالكثير من الجدل والنقاش الحاد بين ممثل الاتهام جريفيث وبورج محامى المتهم..

وعند صدور صحف الأحد كان القسم الأكبر من صفحاتها مخصصا لتلك الفضائح التى تدل على الانحلال الذى كانت تتصف به هذه الحلقة.. والتى كشفت تورط شخصيات هامة بعضهم كان يحرص على ارتداء قناع يخفى ملامحه.. وذكرت كريستين فى أقوالها التى نشرتها الصحف أن

لورد هاليشام اللورد الشاب المحافظ كان موجودا ذات مرة فى قصر كليفدن أثناء وجودها.

وقالت جريدة نيوز أوف ذا ويرلد إن لورد هاليشام الذى كان موجودا فى قاعة المحكمة قال لها: «اخرسى واقفلى فمك».

وقد علقت صحيفة إيطالية على صرخات لورد هاليشام وإنكاره لتقول إن هذا دليل على مشاركته فى هذه الأنشطة الماجنة.. وكانت مازالت كريستين تسترعى الاهتمام العالمى حتى أن «راى روبسون» بطل العالم فى الملاكمة فى الوزن المتوسط أعلن أنه سيمثل أمام كريستين كيلر فى فيلم يصور فى باريس.

استدعى أمام المحكمة مفتش المباحث من مكتب مكافحة الرذيلة «صمويل هربرت» الذى كان قد ألقى القبض على المتهم ليقول إنه كان قد بدأ تحرياته حول نشاط المتهم فى ١٢ أبريل ١٩٦٢ وأنه استجوب ما بين ١٢٥ ـ ١٤٠ شخصا.. كما أنه التقى بكريستين ٢٤ مرة.. وأجاب عن أسئلة كل من ممثل الاتهام والمحامى بإجابات دقيقة ومقنعة.

انتهت هذه الجلسة المبدئية بقرار المحكمة بالإفراج عن المتهم ستيفن بكفالة مالية قدرها ١٠٠٠ جنيه. وذلك رغم احتجاج الشرطة وخرج المتهم من السجن الذى كان قد قضى فيه ٢٦ يوما.. وكان طوال هذه الجلسة حريصا على الاحتفاظ بريشته وأوراقه ليرسم صورا للشهود ولممثلى الاتهام والدفاع.. ويبتسم أحياناً إزاء التهم الموجهة إليه.. وخرج فى انتظار مثوله أمام محكمة أولد بيلى، محكمة جنايات لندن.. فالمحاكمة الأولى ـ كما هو معروف ـ مختصة بالنظر فى الأدلة.. وهى المحكمة التى من شأنها أن تصدر قرارا بحفظ التهم أو الإحالة إلى محكمة الجنايات.

الفصل السابع

ستيفن ينتحر وماكميلان يستقيل وكريستين تعيش من بيع مذكراتها

إيفانوف يتذكر بعد ٣٠ سنة
ويروى تفاصيل اعترافاته
فى «الجاسوس العارى»

بعد المحكمة المبدئية كان على الدكتور ستيفن وارد الانتظار ٢٩ يوما للمثول أمام محكمة أولد بيلى.. خلال تلك الفترة وقعت حادثتان هامتان، أولاهما انتحار زنجى من أبناء الهند الغربية يدعى بيتر راس مان وهو من الذين حققوا ثراء من خلال انتهاز الفرص، حيث كان يؤوى الآلاف من الزنوج كانوا يطردون من مساكنهم بسبب ارتفاع الإيجار ويكدسهم بالعشرات فى حجرات قذرة داخل بيوت قديمة يشتريها، وبذلك أصبح من أصحاب الملايين.

وكانت مارلين رايز ديفيز قد ذكرت أنه كان على علاقة بها.. حيث تقرر استدعاؤه للمحكمة، ولم يكن انتحاره خوفا من تلك الفضيحة فحسب بل لأنها كانت ستفتح عليه أبواب جهنم بملاحقة اسكتلنديارد له وكشف ألاعيبه واستغلاله.

شريط تسجيل وأغنية كريستين

أما الواقعة الثانية فكانت لها علاقة بالأدلة الجنائية التى ظهرت فى أعقاب الحكم على الوسيوس جوردون فى قضية اعتدائه على كريستين، حيث حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.. واتضح أن لديه شريط تسجيل لكريستين، تحدثت فيه عن علاقتها بالعشرات من المشاهير والأغنياء.. وعلى صعيد آخر واصل لورد ديننج تحقيقاته لاستجلاء الحقائق وراء هذه الفضيحة.. وسأل الكثيرين من بينهم جون بروفيمو والدكتور ستيفن وكريستين كيلر ومارلين رايز ديفيز وجون إيدجكومب.. وبدأت تتجمع فى يده خيوط الحقائق كاملة.. وكانت الصحف مازالت تتابع أسرار الفضيحة، فنشرت جريدة نيويورك ميرور أن أحد الشخصيات الهامة فى لندن يقال إنه دفع ٢٥٠ ألف دولار ثمنا لإخفاء اسمه.

لم يظهر جون بروفيمو ولا ظهرت زوجته فاليرى هوسبون فى أى مناسبة علنية سوى مناسبة ظهرت فيها فاليرى بناء على ارتباط سابق أثناء وجوده فى منصبه .. وهى مناسبة افتتاح بيت جديد للمعوقين والأطفال المتخلفين عقليا .. وخلال هذه المناسبة هتف البعض لها ولكنها انهارت ولم تستطع أن تواجه الحاضرين، وخاصة أن امرأة مجهولة أدارت جهاز تسجيل لأغنية عنوانها «كريستين»، كانت قد ظهرت حديثا فى الأسواق. فى هذه الأثناء نشرت صحيفة إيطالية خبرا غريبا يقول إن ستيفن وارد سيتزوج من كريستين كيلر بناء على توكيل لمحاميه أو لشخص آخر يمثله فى إجراءات عقد الزواج أمام أحد مكاتب تسجيل الزواج فى المكسيك، لأنها عندما تصبح زوجته ستعفى من الشهادة ضده بحكم القانون.

ونشرت جريدة ايفنج ستار خبرا مفاده أن ستيفن وارد قد اتفق مع جريدة نيوز أوف ذا ويرلد ليبيعها قصة حياته مقابل مبلغ مابين ٥٠ ألفاً و٥٦ ألف جنيه استرلينى.

وقالت جريدة ذا بيبول إن ثلاثة وزراء آخرين ضالعون فى هذه الفضيحة وإن أسماءهم فى يد لورد ديننج وإن لبعضهم صوراً فوتوغرافية فاضحة.

أما عبر الأطلسى وفى الولايات المتحدة فقد حدث بعض الهدوء عندما أعلن رئيس أركان الحرب سير «ريتشارد هول» أن استقالة بروفيمو وملابساتها لم تترك انطباعا ضارا على الأسرار الأمريكية.

ومع بدء محاكمة الدكتور ستيفن فى محكمة جنايات أولد بيلى كان مكتب الادعاء قد اختصر الاتهامات الثمانية الأولية لتصبح خمسة فقط، بعد استبعاد تهمتى إجهاض وتهمة أخرى أدرجت مع التهمة الأولى .. ووقف

ستيفن ليستمع إلى التـهم الخمس . وأجـاب بصـوت واضـح وحـازم ليقول إنه غير مذنب .

ترأس الجلسـة القـاضى «جـون مـارشـال» الذى أمـر بإخـلاء القـاعـة من القصّر والصغار.. وتولى ممثل الادعاء «جريفيث جونس» ، أما الدفاع عن المتـهم فكان مـهـمـة المحـامى «بورج» كـمـا كـانت الأوضـاع فى المحـاكـمـة الأولى .

بدأ المدعـى يسـتـعـرض جـوانب الفـضـيـحـة ابـتـداء من الدخـل الذى كـان يحصل عليـه المتـهم من عمله كطبيب عظام وفنان ، ليستطرد بعد ذلك إلى الشواهد التى تؤكد التـهم ، وهى أن المتـهم كـان يحـصل على نقـود من أجـور البـغـاء ممـا يوقـعـه تحت طـائلة القـانون ٢٣ لسنة ١٩٥٦ ، بما فـى ذلك المواد التى تجـرم من يجـعل فـتـاة يقل عـمـرها عن ٢١ عـامـا تمارس الجنس مع آخرين وتلك التى تعاقب من يستفيد ماديا من أجور البـغاء . .وشرح المدعى الجنائى كافة الظروف والملابسات التى تؤكد انطباق تلك المواد على المتهم .

أحـــداث الشــهرة

أثناء المحـاكـمـة سئلت كل من كـريسـتـين كـيلر ومـارلين وأخـرى تدعى فيكى باريت . . ثم أكـثـر من فـتـاة رمـز إلى أسـمـائـهن بحـروف من أحـرف الهـجـاء . . وكـانت التـفـاصـيل الفـاضـحـة التى جـاءت على لسان النسـاء تدين المتـهم ، وتؤكـد أنه كـان يحـتـجـز لنفسـه جـزءا من النقود التى كن يحـصلن عليها .

ولعل من الأحـداث الشـهـيـرة التـى وقـعت أثناء المحـاكـمـة أن كـريسـتـين

كـانت تعـانـى صـعـوبة أثناء خـروجـهـا من المحكمـة مما صـعب من مـهـمـة الشرطة المكلفة بحراستها، وكانت فى كل مرة تسعى لحمايتها من الطماطم والبيض الفاسد الذى كان يلقيه البعض عليها، ولكن كانت هناك أحداث أهم من ذلك فى شارع المتحف عندما أعلن عن افتتاح معرض اجتذب الكثيرين.. وافتتحته مارلين رايز ديفيز.. ولكن كريستين وستيفن لم يصلا إلا فى وقت متأخر.

أما الرسومات التى عرضت فكانت معظمها رسومات بالقلم الرصاص منها صور لأعضاء الأسرة المالكة بيعت اللوحة منها بمبلغ ٥٠٠ جنيه، ولعل اللوحة التى ازداد الإقبال عليها كانت لوحة إيفانوف الملحق البحرى السوفيتى التى بيعت بـ ١٥٠٠ جنيه.. وكان هذا المعرض موضع تعليقات من مختلف الصحف منها من أثنت على قدراته الفنية.. ومنها من قللت من قيمته.

توالت جلسات المحاكمة يوما بعد يوم.. واختتمت باستجواب الشهود مرة أخرى بمعرفة المحامى بورج الذى وجد نفسه فى موقف صعب، واستند دفاعه إلى أن ستيفن طبيب عظام ناجح وفنان موهوب، إلا أنه مولع بالنساء شأن معظم الفنانين.. وحاول أن يوضح الفرق بين الحياة غير الأخلاقية والأحداث التى يجرمها القانون قائلاً: إن المحكمة غير مختصة بالحكم على الأخلاقيات وإن اهتمامها الرئيسى هو التأكد من ارتكاب المتهم للأفعال التى يحاكم من أجلها..

محاولة للتبرير

وحاول المحامى أيضا أن يجد تبريرا لمسلك موكله ليقول إن هذه هى

حياة الفنانين كما نعرفها.. وحاول أيضا أن يجعل المحلفين يسقطون من حسابهم أية أفكار مسبقة تولدت لديهم عما نشر بالصحف.. وعاد ليعزف نفس القصة من أن موكله رجل يعيش حياة غير أخلاقية مولع بالحسان الصغيرات، ولكن هذا لا يعنى أنه فى حاجة إلى الأموال منهن. انتقد المحامى الشهود قائلا: إنه لو استدعينا أناسا عاديين من الشارع فإنهم لن يجدوا الجرأة فى الدفاع عن المتهم.. فالنشر الصحافى أدان موكله مسبقا وحتى قبل نظر القضية.

واختتم ممثل الاتهام دفاعه مشيرا إلى أقوال كريستين كيلر وعلاقتها بشخصيات شهيرة مثل لورد استور ودوجلاس فيربانكس.. وتحدث فى سخرية عن إعطاء جون بروفيمو نقوداً لكريستين وهو يقول لها «إن هذه النقود لوالدتك» كما تساءل فى نغمة ساخرة قائلاً:

«هل كان جون بروفيمو سيهتم بوالدة كريستين كيلر لو لم تكن ابنتها ترضخ لرغباته؟».

القاضى يشرح

الإجراء الأخير فى مثل هذه المحاكمات هو تلخيص القاضى لمعطيات القضية وقد بذل القاضى مارشال جهدا كبيراً فى شرح أحكام القانون ومغزى جريمة التكسب من أموال البغاء.. ومن الطريف أنه ذكر أن الكاتب الإنجليزى الشهير برنارد شو كان قد نشر قاموسا اسمه «قاموس السيدات» الذى احتوى على إعلانات لبعض العاهرات، واعتبر ذلك تكسبا منه من أموال الدعارة.. بل ورفضت محكمة الاستئناف التظلم المرفوع منه وأكد مجلس اللوردات إدانته.

واستطرد القاضى فى شرح أبعاد هذه التهمة مثيرا نقاطاً قانونية عديدة وهو يوجه نظر المحلفين إلى أسلوب تقييم الأدلة.. وقد لخص للمحلفين ما جاء بأقوال الشهود.. كما أعاد توضيح التهمة الرئيسية ليقول إن الشخص يقع تحت طائلة هذا القانون إذا كان يعيش كليا أو جزئيا على مكاسب الدعارة، والنقود التى تدفع له مقابل الخدمات التى يؤديها والمتعلقة بأدائهن لهذه المهنة وهو يعلم أنهن من العاهرات.

وانتهت الجلسة ليختلى المحلفون لإصدار قرارهم على أن تعقد الجلسة فى اليوم التالى.

انتحار ستيفن

كان ستيفن وارد مفرجا عنه بالكفالة أثناء المحاكمة ينصرف بعد كل جلسة وفى الليلة الأخيرة توجه إلى منزل صديق له يدعى «نويل هاورد جونس» الذى كان يتعامل معه فى الدعاية لأعماله ورسوماته.. وكان هذا الصديق أحد شهود النفى فى القضية.

فى تلك الليلة كانت مع ستيفن وارد آخر صديقاته وهى فتاة تدعى «جولى جليفر ٢٢ سنة».

وقضى الثلاثة أمسيتهم يتحدثون عن أمور أخرى بعيدا عن القضية.. أما ستيفن فقد دخل غرفته ليكتب خطابات لمحاميه وللناشر الذى سينشر قصته ولأصدقائه حتى التاسعة مساء عندما دخل المطبخ ليطهى كعادته وجبة العشاء لنفسه.. ثم انصرفت صديقته جولى جليفر إلى منزلها.

فى التاسعة والنصف صباحا دق جرس الهاتف فى شقة نويل هاورد

جونس واستمر الرنين.. وكان نويل يعتقد أن ستيفن سيرفع السماعة ليجيب على المكالمة.. ولكن عندما استمر الرنين نهض متثاقلا ليجد أن الهاتف لايزال إلى جوار ستيفن الذى كان وجهه قد اصطبغ باللون الأزرق..وحاول إيقاظه فوجده يتنفس بصعوبة.. فسارع باستدعاء سيارة الإسعاف التى نقلته إلى المستشفى وهو فى حالة إغماء تام.. ووجد صديقه خطابا تركه له ستيفن يوصى له بسيارته الأنيقة ويعبر فيه عن إحساسه باليأس بعد استماعه إلى تلخيص القاضى الذى جعله يفقد الأمل.

عرف القاضى فى محكمة أولد بيلى بأن المتهم يعانى من غيبوبة بعد تعاطيه جرعة كبيرة من الأقراص المنومة.. وأجل النطق بالحكم حتى تسمح حالة المتهم بالحضور.. ولكن المحلفين كانوا قد وصلوا إلى قرارهم وهو إدانة ستيفن وارد فى تهمتين من التهم الخمس الموجهة إليه.. وهما التهمتان الرئيسيتان المتعلقتان بالتعيش على أموال الدعارة التى كان يحصل عليها من كريستين ومارلين، أما التهم الثلاث الأخيرة والمتعلقة بفيكى باريت وفتاتين أخريين فقد كان القرار أنه «غير مذنب».

تأجل الحكم فى القضية إلى موعد آخر عندما تسمح حالة المتهم بالمثول أمام المحكمة، ولم يصدر حكم فى هذه القضية لأن المتهم لم يسترد وعيه وتوفى فى ٣ أغسطس ١٩٦٣ دون أن يعرف قرار المحلفين بشأنه إن كان مذنبا أو غير مذنب.

استقالة ماكميلان

أطاحت هذه القضية بعد ذلك برئيس الوزراء هارولد ماكميلان الذى قدم استقالة حكومته بعد تزايد الضغوط عليها.. بل وتأثر حزب المحافظين تأثرا

بالغا .. وفقد الكثير من شعبيته نتيجة لهذه التصرفات الخرقاء لجون دينيس بروفيمو ذلك الشاب الذى كان قد صعد بسرعة الصاروخ فى صفوف الجيش ومن أروقة السياسة ليصبح فى النهاية عضوا بمجلس العموم وممثلا لدائرة ستاتغورد أون - أفون - وهى البلدة التى أنجبت وليم شكسبير - وكان قد تزوج من النجمة الشابة فاليرى هوسبون .. ولكنه ظل مولعا بالحسان يسلك فى الخفاء مسلكا رذيلا لم يفطن إليه أحد حتى تفجرت تلك الفضيحة.

اختفى جون بروفيمو بعد ذلك عن الأنظار ..ولم يعد يظهر فى أية محافل عامة تجنبا للنظرات والهمسات والتلميحات .. أما كريستين كيلر فعاشت على الأموال التى جمعتها من بيع مذكراتها حول عالم شهرتها فى التاريخ الحديث فى بريطانيا والتى أطاحت بحكومة المحافظين.

كتب .. وفيلم

صدر الكثير من الكتب التى تناولت هذه الفضيحة المدوية فى بداية الستينيات، كما أنتج فيلم عنها بعنوان « فضيحة»، قامت فيه الممثلة «بريجيت فوندا» بدور كريستين كيلر .. ولكن ظلت أسرار عديدة طى الكتمان وقد كثر اللغط عن شخصيات أخرى ضالعة فى هذه الفضيحة هربوا من تبعاتها بعد انتحار ستيفن وارد الذى كان موضع تعليق الكثير من الصحف خاصة وقد كتب أنه لو لم ينتحر لمثل مرة أخرى أمام محكمة جنايات أولد بيلى فى تهم عديدة تتعلق بالجوانب السياسية لتلك الفضيحة.

أضواء جديدة

بعد صمت طويل استمر ثلاثين عاما عادت الأضواء مرة أخرى إلى

هذه الفضيحة التى تعد أسوأ فضيحة سياسية خلال الحرب الباردة، باعتبارها تركت وراءها ضحايا كثيرين مثل الطبيب المنتحر واستقالة جون بروفيمو واستقالة الوزارة البريطانية واهتزاز سمعة المحافظين لسنوات طويلة.. وهى الفضيحة التى اختلطت فيها الأكاذيب بالرذيلة والسياسة بالتجسس.

اعترافات إيفانوف

خرج العميل الروسى إيفانوف بعد صمت طويل امتد لثلاثين عاما ليكشف حقيقة علاقته بالطبيب ستيفن وارد وبالوزير بروفيمو وبكريستين كيلر.. وأعطى لكتابه عنوان «الجاسوس العارى»، ذلك الكتاب الذى أثار ضجة كبيرة فى بريطانيا وخارجها ولا شك أنه اسم له دلالته، لأنه كان عاريا هو ومن التقى بهم لأول مرة فى حمام السباحة فى قصر لورد استور، ذلك اللقاء الذى كان بداية لاختراقه جهاز الأمن البريطانى ليحقق أكبر نجاح حققه عميل سوفيتى.

ويتحدث إيفانوف بصراحة مألوفة فى رجال المخابرات بصفة عامة.. ولكن كتابه صدر بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وتفكك جهاز المخابرات السوفيتية وبعد أن أصبحت هذه الأحداث فى ذمة التاريخ.

سد الفجوات

والتفاصيل التى أوردها إيفانوف فى كتابه تسد الكثير من الفجوات وتكتمل الصورة بالجزئيات التى أضافها.. يقول إيفانوف إنه ألحق بالسفارة

السوفيتية في لندن بوظيفة الملحق البحري.. وهي وظيفة كانت تغطي عمله الرئيسي كجاسوس محترف يعمل لحساب إدارة «جي - آر - يو» وهو اختصار لاسم إدارة مخابرات الجيش السوفيتي.

وكانت مهمته الرئيسية عند إيفاده إلى لندن تتركز في المهام التي كلف بها وهي الحصول على معلومات كانت إدارته في حاجة ماسة إليها، والتوصل إلى إجابات حول أسئلة معينة تتعلق بحجم المخزون الاحتياطي النووي للقوات البريطانية ومعرفة التفاصيل حول الصواريخ الجديدة والغواصات.. كما كانت رئاسة المخابرات مهتمة بصفة خاصة بالعمليات الاستراتيجية والتكتيكية التي تصدر عن قيادات دول حلف الأطلسي وسياسات الحكومة البريطانية وطبيعة علاقتها مع أمريكا.

بداية إيفانوف

يقول إيفانوف في كتابه: «بقيت ستة أشهر في لندن أحاول وضع خطة مناسبة لتحقيق أهدافي والوصول إلى قلب المعلومات دون نجاح يذكر حتى قابلت «كولين كوت» رئيس تحرير جريدة الديلي تلغراف في حفل بالسفارة السوفيتية في لندن في نوفمبر ١٩٦٠ بعد ستة أشهر من وصولي إلى لندن.

وكان الهدف من إقامة هذا الحفل هو اجتذاب شخصيات بريطانية مرموقة أختار من بينها من يصلح لتمهيد الطريق لي حتى أفتح فجوة في نظام الأمن القومي الإنجليزي المعقد..

كنت أعرف مدى خطورة ذلك وأنني واضح لإدارة المخابرات البريطانية التي كانت تضعني تحت المراقبة ليلا ونهاراً.. لذا كان الحفل في

السفارة السوفيتية فرصة طيبة لاجتذاب شخصيات هامة بعيدا عن أعين مكافحة التجسس البريطانية، لأن حلم أى جاسوس هو أن يكون على مقربة من الشخصيات الهامة والوزراء.. وكان لقائى برئيس الديلى تلغراف هو بداية النجاح بالنسبة لى.

خلال الحفل قدمت نفسى إلى الكثير من الشخصيات الهامة الذين كانوا ينصرفون عنى وينهون الحديث فى اقتضاب..

ولكن كولين كوت أو المستر كوت كما كان معروفا بهذا الاسم فى الأوساط البريطانية، كان شخصا مرحا منفتحا عرفنى بنفسه وسألنى عن شخصيتى فقلت له أنا الكابتن أوجين إيفانوف مساعد الملحق البحرى، ولست شخصية هامة فى هذه السفارة فضحك لمزاحى وتناولنا الشراب والنكات..

الفصل الثامن

إيفانوف فى منزل تشرشل وأسرار الأطلسى مبعثرة على المكاتب

ستيفن يصف كريستين
بأنها مخلوق خطير

سأل الكابتن أوجين إيفانوف السير كولين كوت رئيس تحرير الديلى تلغراف خلال تعارفهما فى حفل السفارة السوفيتية أن تتاح له الفرصة لمشاهدة طبيعة العمل فى صحيفة بريطانية، فهل تحقق لى ذلك؟

رد السير كوت: بالطبع.. واتفقنا على أن أذهب إليه يوم الأربعاء التالى لتتوطد صداقتى به ولنتحدث فى أمور كثيرة لمست خلالها أنه يميل إلى الإفراط فى الحديث دون تحفظ.. عندئذ أدركت أننى وفقت فى تصيد الشخصية المناسبة.

أحاديث بالسياسة والاقتصاد

ولعل من المهم أن أضيف فى هذا الصدد أنه قبل إقامة هذا الحفل كنت قد أعددت له إعداداً متقناً وبعناية بالغة.. واخترت قائمة المدعوين اسماً اسماً ودرست ملف كل ضيف بدقة وخططت لطريقة التحدث معه.. وكان سير كولين كوت يحتل قائمة الأشخاص المرشحين لأن يكونوا طريقى لاختراق المجتمع الإنجليزى.

توجهت فى الموعد لزيارته فى جريدة الديلى تلغراف.. ودارت أحاديث بينى وبينه من الطباعة إلى السياسة والاقتصاد.. ثم كان معه لقاء آخر، ازددنا فيه اقتراباً وتطرقنا إلى المسائل العسكرية والحديث عن ألمانيا، ووجدت بيننا أرضية مشتركة وهى كراهية الألمان.. فقد كان سير كولين فقد إحدى رئتيه فى الحرب العالمية الأولى إثر إصابته بعيار نارى وجعلته هذه الإصابة عدواً لألمانيا طوال حياته.

كـره الألمان

كـمـا وجـدنا أننا نتـفق فى كـثـير من الأمـور، خـاصـة تطوير الكيـمـاويات واستخدامها فى الحروب.. وخطورة تزويد ألمانيا بالأسلحة النووية أو وجود هذه الأنواع من الأسلحة فى ألمانيا الغربية. وكان هذا مدخلاً طبيعياً ومناسباً وثيق الصلة بهدفى الرئيسى بالنسبة للمعلومات التى كلفت بجمعها.. وأذكر فى هذا الصدد أن الفضل فى تعرفى بسير كولين وبالآخرين الذين تعرفت عليهم خلال عملى فى لندن، يرجع إلى صديقى وزميلى «كيم فيليبى» المسئول البريطانى بإدارة المخابرات البريطانية والذى كان جاسوساً لإدارة المخابرات السوفيتية، إذ يرجع إليه الفضل فى تعريفى بأهمية الشخصيات الإنجليزية والنوادى التى يجتمعون فيها، خاصة تلك التى تضم الشخصيات البارزة مثل كولين كوت وأعضاء مجلس العموم البريطانى، تلك المعلومات التى أفادتنى كثيراً فى إعداد الخطة لهذا الحفل الذى تعرفت فيه على سير كولين.

التعرف بستيفن

الحلم الذى انتظرته طويلاً وهو التعرف على شخصية تقدمنى إلى القيادة البارزة فى إنجلترا جاء فى أحد هذه النوادى عندما دعانى سير كولين إلى تناول الغداء فى جاريك.. وهو أحد النوادى التى تضم الشخصيات البارزة.. فأثناء وجودنا فى النادى قدمنى إلى دكتور ستيفن وارد الذى فهمت أنه كان نجماً من الطراز الأول.. فهو طبيب متخصص فى تقويم العظام وفنان موهوب ورسام شهير.. والأهم من ذلك أنه وثيق الصلة بالطبقة العليا فى بريطانيا.

سؤال دون إجابة

رغم أننى فرحت بهذا الصيد إلا أننى كجاسوس محترف أشك فى كل شىء.. فقد قلت لنفسى: لماذا قدمنى كولين لهذا الطبيب؟ وهو سؤال لم أتوصل إلى إجابة له.. واليوم، وبعد ثلاثة عقود مازال هذا السؤال بدون إجابة، وإن كانت قد سرت شائعة فيما بعد من أن هذا الاجتماع كان من تدبير المخابرات البريطانية التى كانت تخطط للإيقاع بى، وأنه دس علىّ لتصيدى بعد أن عرف بأمر صداقتى بسير كولين كوت.

وعندما أتذكر هذا الافتراض لا أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك لأن موقفى أصبح كموقف الصياد ينصب شباكاً فيقع هو فيها.. ولكن لا أستطيع أن أؤكد أو أنفى إذا كان لقائى بالدكتور ستيفن وارد بتدبير من المخابرات البريطانية أو أنه كان مصادفة.. الشىء الأكيد هو أن تعرفى بالدكتور ستيفن كان بداية لاختراقى الصفوف العليا فى بريطانيا وتعرفى باللورد استور والحفلات التى يقيمها فى قصره بكليفدن على بعد مسافة من لندن والتى يدعو إليها مسئولين كباراً، ذلك القصر الذى التقيت فيه بوزير الحرب البريطانى وكريستين كيلر، وهو اللقاء الشهير الذى عرف باسم «لقاء حمام السباحة»، وهو آخر مكان كنت أتوقع أن ألتقى فيه مع هدفى الأول.

قبل تعرفى باللورد استور أتاح لى الدكتور ستيفن فرصة كانت لا تقل أهمية.. من خلاله التقيت مع الزعيم البريطانى ونستون تشرشل، إذ بعد أن تعرفت على وارد وأحكمت قبضتى حوله.. أو لعله هو الذى أحكم قبضته حولى.. وبعد تكرر لقاءاتنا أخبرنى ذات مرة أن عليه أن يزور مريضاً، وسألنى إذا كنت أريد أن أصحبه أثناء زيارته لهذا المريض المهم؟

وصف مكتب تشرشل

سألته: من هو هذا المريض؟.. قال: إنه ونستون تشرشل.. فهو مريض أعالجه منذ خمس أو ست سنوات وأزوره من وقت لآخر. رحبت بالفكرة.. واصطحبنى إلى منزل الزعيم البريطانى.. وهناك أخبرنى دكتور ستيفن أن أنتظر فى غرفة المعيشة حتى ينتهى من فحص مريضه، وقدم لى خادم تشرشل الشراب.. وبقيت فى الغرفة أتطلع فى المكان حيث توجد مكتبة تضم كتباً قديمة وأثاثاً عتيقاً، وعلى مكتب تشرشل كانت توجد أوراق كثيرة وعدد من الوثائق وتقارير عن المشاكل الاقتصادية والسياسية وبعض المراسلات الخاصة.. وهى كنز يحلم به كل جاسوس.. فكرت فى لحظة أن أختلس بعض هذه الأوراق، خاصة وقد التقطت عينى المجرية رسالة من قائد عسكرى تتحدث عن الاتجاهات الجديدة فى حلف الأطلسى فى أوروبا، خاصة فيما يتعلق بمسرح العمليات فى حالة حدوث حرب ضد الاتحاد السوفيتى وضرورة إمداد الجيش الألمانى بالأسلحة النووية اللازمة لردع أى عدوان محتمل من الاتحاد السوفيتى.

أيـن الروسـى؟

فكرت للحظة أن أدسها فى جيبى، ولكنى عدلت فى اللحظة الأخيرة لأننى أدركت أن اختفاءها سرعان ما سيكشف، وقد يؤدى هذا إلى تعديل الخطط، وسيعرف بطبيعة الحال أننى سرقتها.. فاكتفيت بمحاولة حفظ تفاصيل الوثيقة حتى أرسل معلوماتها إلى موسكو فى اللحظة التى سمعت فيها صوت الرجل العجوز ونستون تشرشل، الذى كان فى ذلك الوقت فى الثمانين من عمره.. وقد ترامى صوته إلى مسامعى وهو يقول للدكتور ستيفن: «أين الروسى الذى جاء معك؟».

نصائح تشرشل

فتح الباب ودخل تشرشل بقامته الضخمة، وسمعت وارد يقول لتشرشل إن حالته طيبة وأنه يسمح له بتناول الشراب.. وكان ذلك إشارة بأن أقدم لتشرشل زجاجة خمر من أرمينيا.. ودار حديث بيننا حول المشروبات، لمست خلاله تهجم تشرشل على الروس، إذ أخذ يرشف من زجاجة الخمر التى أعطيتها له ليقول: أنتم أيها الروس أساتذة فى المفاجآت.. ولكنكم مازلتم برابرة بالنسبة لنا..

إن روسيا ليس أمامها طريق سوى أن تتبع نموذج أوروبا، ولعلكم تدركون يوماً أن ليو تولستوى أعظم كاتب فى القرن التاسع عشر، وأن أفكاره جديرة بأن تتبعوها.. ولكن مشكلة روسيا أنها حولت الثورة عن طريقها التاريخى وجعلت من نفسها عدوة لنا.. يجب أن تفهموا أن روسيا مريضة، ومرضها لا يمكن علاجه. هنا تدخل الدكتور ستيفن عندما وجد أن حرارة المناقشة قد ارتفعت.. وفضل أن ننصرف.

اللقاء مع بروفيمو

يستطرد إيفانوف فى كتابه «الجاسوس العارى» بالتحدث عن لقائه بوزير الحرب البريطانى جون بروفيمو، ليقول: منذ أن تعرفت بالدكتور ستيفن لمست أنه شخص يفرط فى الكلام عن نفسه، فهو يتفاخر بصلاته بكل الطبقة العليا من البريطانيين والأجانب الذين يفدون على عيادته.. وأخذ يحدثنى عن الكثير من مرضاه، خلاف ونستون تشرشل، وذكر أسماء لها رنينها، مثل «بيتر ثورنيكروفت» وزير الدفاع السابق، والرئيس أيزنهاور والسفير الأمريكى ألفريد هاريمان، إلى جانب نجوم عالميين مثل إليزابيث

تايلور وفرانك سيناترا، وملوك فى المنفى وسياسيين سابقين.

وخلال الأحاديث بيننا عرفت منه أنه يستأجر بيتاً صغيراً فى ضيعة اللورد استور التى تطل على نهر التيمس، وقال لى إنه مكان رائع يجب أن تزوره.. قفزت فى مكانى وأنا أقول له: هل أنت حقيقة صديق اللورد استور؟ قال: أتعنى بيلى؟ وابتسم متباهياً مفتخراً ليؤكد لى أنه صديق شخصى للورد استور، ودعانى إلى زيارته هناك.. وتأكدت عندئذ أن ستيفن وارد كان صادقاً معى فيما ذكره عن علاقته، وأذكر لهذا الطبيب أنه لم يكن أى ضغينة أو كراهية للاتحاد السوفيتى، مع أنه لم يكن شيوعياً.. وقررت عندئذ أن أوثق علاقتى به.. فمن خلاله سأصل إلى أهدافى.

تعليمات موسكو

يضيف إيفانوف فى كتابه: أرسلت تقريراً إلى موسكو عرض على الجنرال «أناتولى بافلوف» رئيس جهاز المخابرات، تحدثت فيه عن لقائى بالدكتور ستيفن والأبعاد التى يمكن أن تحقق من خلال صداقته، وأوضحت أيضاً علاقته باللورد استور.. وجاءتنى تعليمات الجنرال بافلوف باستخدام ذلك الطبيب لأغراضنا مع التركيز بصفة خاصة على اللورد استور.. وقال: تذكر أن ما يقال فى قصر كليفدن اليوم سوف يصبح السياسة الرسمية التى يمارسها المحافظون فى الغد.

وأمرنى أن أكون دائماً إلى جانب لورد استور ومعارفه.. وقد فعلت.. فوطدت علاقتى بالدكتور ستيفن وتكررت زيارتى للكوخ الذى يستأجره فى ضيعة اللورد استور، وأصبح المكان المفضل لى لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، فى انتظار الفرصة المناسبة.

مضى أكثر من أسبوع دون أن ألتقى باللورد استور.. ولكنى كنت واثقاً من أننا سنلتقى.. وأثناء ترددى على قصر كليفدن كنت أخرج دائماً بخبر جديد، خاصة بعد أن أصبحت لى حرية الحركة فى القصر الكبير حتى قبل أن ألتقى بصاحبه.. فهو قصر واسع كثير الحجرات.. وكنت أهتم بصفة خاصة بغرفة المكتب الخاصة باللورد استور وأنتهز الفرصة بين الحين والحين للتسلل إليها، وخاصة أن مكتبه كان هدفاً مناسباً لى، إذ كان يترك مكاتباته ومراسلاته على المكتب فى إهمال.. بل لعله لم يكن يتوقع أن يكون هدفاً لجاسوس مثلى.. ففى اللحظات التى كان ينزل فيها صديقى ستيفن إلى حمام السباحة كنت أسرع بتصفح المكاتبات الموجودة على مكتب لورد استور، وكنت أركز بصفة خاصة على بريده الذى استطعت أن أقرأه بتمحص، واستطعت أن أصوره بكاميرا صغيرة للغاية مثبتة فى حلية برقبتى كسلسلة ذهبية.

رسائل بالحقيبة الدبلوماسية

وكان أحد الفنيين بالسفارة فى لندن يتقبل المعلومات بطريقة الميكروفيلم لترسل إلى موسكو بالحقيبة الدبلوماسية، وكنت لا أجد أحياناً فسحة من الوقت لتصوير الوثائق على مكتب استور.. فكنت أسرقها.. فقد كان على مكتبه الكثير من الوثائق، لذا كان من الصعب عليه اكتشاف سرقة بعضها، لذا فقد كنت أقرر خلال ثوان معدودة إذا كانت الوثيقة تستحق التصوير أو السرقة.

وأتيحت لى هذه الفرص منذ لحظة تعرفى باللورد استور، الذى وجدت فيه شخصية لطيفة منفتحة.. ولعل من أهم مزاياه أنه لايعرف شيئاً عن

أمن المعلومات ولا يشك فى أحد.. وكنت أنتهز فرصة انشغاله بتحية ضيوفه أو مكالمة تليفونية أو الذهاب إلى المطبخ لإحضار زجاجة شراب يقدمها لضيوفه، فقد اعتاد أن يخدم ضيوفه بنفسه، لأمارس عملى السريع جداً.

تصوير.. وسرقة أهم الوثائق

بالإضافة إلى تلك الوثائق التى كنت أصورها أو أسرقها من مكتبه كنت أستفيد من ترددى على قصره بالتعرف على ضيوفه من الشخصيات المهمة، وأعضاء البرلمان والوزراء، تلك الأحاديث التى كنت أستخلص منها الكثير والكثير، وقد أصبح قصره أفضل مصدر للمعلومات.

لعل من أهم الوثائق التى أتيحت لى فرصة معرفة محتوياتها أثناء ترددى على قصر اللورد استور، كانت رسالة من أصدقاء للورد استور، كتبوا إليه عن احتمال وقف برنامج صاروخ «سكاى بوليت» الذى يحمل قنابل استراتيجية.. وكان لدى هارولد ماكميلان أمل فى أن يحل هذا الصاروخ محل «بلو ستريك».

هذه المعلومات كانت تعنى تحولاً فى الخطط العسكرية البريطانية الأمريكية وإعطاء الضوء الأخضر لتزويد الغواصات البريطانية بصواريخ بولاريس الأمريكية ذات الرؤوس النووية.. وفسرت موسكو ذلك بأن ذلك تقويض لوحدة قوى حلف الأطلسى، لأن هذا يعنى أن بريطانيا كانت تسعى لعقد صفقة خاصة مع أمريكا، وهذا يعنى استبعاد فرنسا من صناعة تسليح الرؤوس النووية، ذلك الاتجاه الذى فسرته فرنسا بأنه تصرف من جانب واحد.. وفقدت اقتناعها بالاعتماد على بريطانيا كشريك أوروبى.

هذه الرسالة القصيرة التى كتبها صديق للورد استور أوضحت الكثير عن طبيعة العلاقة بين دول الأطلسى واحتمالات الخلاف بينها فى أمور التسليح، لذا كان لتقريرى بهذا الشأن أهمية كبرى فى رسم السياسة السوفيتية وإعداد تقويم واقعى للعلاقات بين الأطراف فى حلف شمال الأطلسى.

ظهور كريستين

يقول أوجين إيفانوف: إن موسكو اهتمت اهتماماً كبيراً بتقريرى الذى أوضحت فيه أن لورد استور يتيح لضيوفه فرص الاختلاط ببعض الفتيات، وأن معظم ضيوفه يفدون على قصره لاهتمامات جنسية.. ووصلتنى معلومات تفيد محاولة الاستفادة من هذا الموقف.. وظهرت كريستين، ورأيتها لأول مرة بصحبة ستيفن وارد فى ربيع عام ١٩٦١، وكانت ذات جاذبية صارخة.. وعرفت من ستيفن أنها تقيم معه فى شقة فى منطقة وينبول نيوز مع فتاة أخرى تعمل كراقصة فى ملهى ليلى.. وكانت هى الأخرى على قدر كبير من الجاذبية.. وأثار اهتمامى أن يعيش وارد مع فتاتين فى شقة واحدة.

لم يطل هذا اللغز لفترة طويلة.. ذلك اللغز الذى احترت أول الأمر فى تفسيره.. فإذا كانت كريستين كيلر صديقته، فما موقف مارلين ديفيز؟

وعندما ألمحت إلى ذلك فى حديثى مع ستيفن وارد قال لى: إنك مخطئ إلى حد بعيد.. إننى أريد لهاتين الفتاتين أن تحصلا على ما فى الحياة من مال وحب وسعادة، وأنا أساعدهما فى ذلك، فإننى أقدمهما لأصحاب النفوذ والأثرياء.. وبعد ذلك يأتى دورهما.

مخلــوق خطــير

الشيء الذى لم يدركه ستيفن عن كريستين كيلر أنها مخلوق خطير تشع من عـينيـهـا الرغـبـة والغـدر والشـهـوة والمكر.. فـهـى حـيـوان مـفـتـرس ولكنه ناعم، تلك الصفات التى كشفت عنها بسرعة.

بدأت الأحـداث فى ٩ يوليـو ١٩٦١، وكـان أحـد أيام الأحـد عندمـا ذهبت لزيارة سـتـيفن فى كـوخـه فى ضـيعة اسـتـور.. وعـرفت أن كـريسـتين كـانت هناك منذ الليلة السـابقـة وأن ضـيـوف اللورد شـاهدوها تـخـرج من الماء من حمام السباحة وكأنها فينوس.. وكان من الضيوف جون بروفيمو وزوجته الممثلة فاليرى هوسبون، التى برغم وجودها مع زوجها لم يتردد الأخير فى ملاحقة كريستين كما لم يرفع عينيه عنها لحظة واحدة.. بل ونزل معها حمام السباحة فى اليوم التالى وغازلها بشكل فاضح.

ونزلنا جميعاً إلى حمام السباحـة لنعمل مسابقات ثنائيـة لم تكن تـخلو من اللهو.. وحـرص بروفيمو على أن تكون شـريكتـه كريستين، واشـتـركت فى السبـاق الذى خسرتـه بطبـيـعـة الحـال، لأن ذهنـى كـان مـشـغـولاً بأمـر وهو التفكير فى المدى الذى يمكن أن تصل إليه أبعاد هذا اللقاء.

الفصل التاسع

بروفيمو ضحية دخوله فـم الأسـد لاصطياد العميل الروسى

إيفانوف: كريستين قنبلة موقوتة انفجارها هدم المعبد الذى بنيته

أكمل أوجين إيفانوف ضابط المخابرات السوفيتى سرد تفاصيل أول لقاء له مع وزير الحرب البريطانى جون بروفيمو بترتيب من الدكتور ستيفن وارد. وقال فى كتابه إنه عندما هم بمغادرة الحفل طلب منه ستيفن اصطحاب كريستين كيلر معه، وقال وهو يغمز بعينيه: أرجوك خذها بعيداً عن هنا، فبروفيمو سوف يفقد عقله بسببها.

وأضاف إيفانوف: اصطحبت كريستين معى بالسيارة عائدين إلى لندن.. وطوال الطريق وجدتها تمارس تأثيرها الأنثوى علىّ.. ولم يعد لحديثنا معنى سوى أننى أدركت أنها قنبلة موقوتة.. وظل ذهنى مشغولاً فى كيفية الاستفادة منها وتحقيق أغراضى.

عندما أوقفت السيارة فى وينبول نيوز حيث تقيم كريستين فى شقة ستيفن دعتنى لتناول الشاى معها.. وصعدت إلى مكتبها.. وكان ذلك أول لقاء بيننا، لم تتردد فى أن تعاملنى كعشيق.. لقد غادرت شقة ستيفن فى وقت متأخر.. ومنذ ذلك الوقت استطاعت كريستين أن تجمع بينى وبين وزير الحرب البريطانى كعشيقين لها.. وهى الورقة الرابحة التى لعبت عليها وخططت لاستخدامها لتوريط الوزير البريطانى.

قبل رحيلى من موسكو إلى لندن كنت قد درست ملفات المسئولين البريطانيين ولاحظت أن نجم بروفيمو كان فى صعود مستمر.. ولكن الخطر الأكبر الذى وقع فيه هذا الوزير أنه كان يثق فى نفسه أكثر مما يجب.. ولم يكن يظن أن أحداً سوف يعلم شيئاً عن علاقته بكريستين.. وبطبيعة الحال لم يكن يقلقه ستيفن وارد أو علمه بتلك العلاقة لأنهما كانا صديقين طوال ست سنوات.

دفاع عن ستيفن

ويدافع الجاسوس الروسى عن صديقه ستيفن الذى انتحر عام ١٩٦٣،

قبل صدور الحكم عليه بتناول الأقراص المهدئة.. يقول: خلال الفترة التى قضيتها فى الغرب قمت بتجنيد ثلاثة عملاء، اثنين فى النرويج وواحد فى بريطانيا.. ولكن علاقتى مع ستيفن كانت مختلفة تماماً.. لذا شعرت بأن تجنيدى له كعميل رسمى قد يفسد هذه العلاقة، وخاصة أنه كان يساعدنى ويلبى طلباتى دون التزام رسمى.. وسعيت لإقناع رؤسائى فى المخابرات بالاحتفاظ بصداقته دون تجنيد.. فمن خلال الصداقة كانت تتحقق لنا أغراضنا.

عرفت المخابرات البريطانية بعلاقتى مع ستيفن.. وكما هو واضح فى تقرير اللورد ديننج رئيس اللجنة التى شكلتها الحكومة البريطانية عام ١٩٦٣ للتحقيق فى علاقة وزير الحرب بكريستين لم تجد السلطات البريطانية أو جهاز المخابرات أن علاقتى بستيفن تشكل تهديداً للأمن القومى.

والغريب أننى عرفت أن ستيفن كان يعمل لحساب المخابرات البريطانية أو هكذا أشاعوا.. ولكننى لا أصدق هذه الشائعات.. فقد حكى لى بنفسه كيف استدعى إلى إدارة المخابرات ليلتقى بمسئول فيها، وأبلغوه بأنهم كانوا سعداء بأن يرتبط روسى وإنجليزى بصداقة علنية.. وأخبرهم ستيفن أن علاقاتنا ليس لها مغزى سياسى ولا تهم المخابرات فى شىء.

خطة روسية لإبراز بروفيمو

ويمضى إيفانوف فى اعترافه بكتابه «الجاسوس العارى» ليقول: على الرغم من أن كريستين كيلر كانت الورقة الرابحة فى خططى التى أعددتها، فهى أيضاً التى هدمت المعبد وأفسدت الخطة التى كنت قد وضعتها، وكانت خطة رائعة.

كانت خطتى هى حصار الوزير بروفيمو وتجنيده لحساب المخابرات السوفيتية ليصبح أكبر صيد يمكن أن يقع فى شباكنا، وذلك عن طريق تهديده بكشف علاقته الجنسية مع كريستين.. وكنت أخطط لالتقاط صور فاضحة لهما واستخدامها بعد ذلك لتهديده، وأنا واثق أنه إما أن يضحى بمستقبله الوظيفى ومكانته الاجتماعية واستقراره الأسرى أو أن يتحمل مهانة الفضيحة، وكان لابد أن يخضع فى النهاية ليصبح كالخاتم فى إصبعى.

وخطة الابتزاز كانت تقوم حول عميل آخر من موسكو للقيام بهذه العملية، لأن ظروفى كملحق بحرى وعضو بالسلك الدبلوماسى لم تكن لتتيح لى القيام بهذا الدور، حتى أفسدت كريستين هذه الخطة.. وتلاعبت باثنين من أبناء جزر الهند الغربية، وهما لاكى جوردون وإيدجكومب.. وعندما رفضت دخول إيدجكومب شقتها أطلق النار على نافذتها، ذلك الحادث الذى أثار ضجة كبيرة فى الصحف البريطانية وقاد إلى قضية دعائية وفجر فضيحة بروفيمو، تلك الفضيحة التى لو لم تتفجر لكان لى شأن آخر.

علمت فيما بعد أن موسكو قد أعدت كل الأوراق لتوريط بروفيمو بعد جمع المعلومات عن علاقته بكريستين كيلر.. وكانت الخطة هى تهديده بتسريب هذه المعلومات إلى الصحافة.. وهى المؤامرة التى قضت عليها كريستين.

تحفظ بروفيمو

أما إذا عدت إلى أيام علاقتى بها منذ أن التقيت معها ومع جون بروفيمو فى قصر استور فإننى أتذكر أننى حاولت بعد ذلك توطيد علاقتى بالوزير، فدعوته إلى حفل كبير فى السفارة السوفيتية بمناسبة زيارة رائد الفضاء

السوفيتى يورى جاجارين إلى لندن، وحضر الحفل ولكننى فشلت فى كسب صداقته .. فقد كان متحفظاً لا يتحدث إلا فى الأمور الهامشية ولا يجيب عن أية أسئلة شخصية .. وهو تصرف طبيعى لوزير بريطانى يتحدث إلى ديبلوماسى سوفيتى .. فلم أتوقع أفضل من ذلك .

أثناء هذا الحفل وبعده لم أكن أعرف شيئاً عن تطور العلاقة بين كريستين وبروفيمو حتى يوم كنت أتناول فيه الغداء مع ستيفن عندما همس قائلاً: هل تعرف أن كريستين على موعد غرامى ؟ لقد اصطحبها «جاك» - ويقصد جون بروفيمو - إلى خارج المدينة ليقضى اليوم بأكمله معها .. وكانت تلك أول مرة أعرف فيها بالعلاقة بينهما .. وعندما أبلغت رئيسى بالسفارة الجنرال بافلوف بعلاقة الوزير بكريستين شربنا جميعاً نخب هذا التطور. وقال لى إن الأمور تسير سيراً حسناً ولايجب أن نضيع هذه الفرصة

تفاصيل الخطة

عقدت اجتماعات فى موسكو بمقر إدارة المخابرات العسكرية لترتيب وتنظيم التفاصيل والمعلومات الكافية لابتزاز بروفيمو، ولم يتبق سوى تلقى إشارة البدء لتنفيذ الخطة .. وكانت موسكو واثقة من أن جون بروفيمو وقع فى المصيدة ولابد أن يعمل لحساب المخابرات العسكرية الروسية - طوعاً أو مكرهاً - واستمر ستيفن بإمدادى بالمعلومات عن مقابلات بروفيمو وكريستين .. وأضافت موسكو اللمسات النهائية واختيار العميل الذى سوف يجابه بروفيمو ويحدثه فى أمر علاقته بكريستين وإكراهه على التعاون مع المخابرات السوفيتية ، وإلا عليه أن يتحمل نتائج فضح علاقته بها وتدمير مستقبله السياسى .

وكانت الخطة قد وضعت على أساس أن بروفيمو لايعرف طبيعة الجهة التى سيتعاون معها ولا يعرف من الذى يهدده.. فليس للمخابرات العسكرية السوفيتية مصلحة فى كشف نفسها، ولم يكن جون بروفيمو فى وضع يسمح له أن يفاوض أو يجادل.. وكان هذا يعنى نهاية دورى فى العملية قرب عطلة عيد الميلاد.

ولم يكن حتى من المقرر لى أن أعرف من ذلك العميل الذى سيكمل الدور، بل ولم يبلغونى أساساً بوجود مثل هذه الخطة.. ولكنى استنتجت ذلك من خلال الأسئلة التى كانت توجه إلىّ.. وعرفت أن عدداً محدوداً جداً داخل المخابرات العسكرية السوفيتية هم الذين يعرفون بأمر تلك العملية.. اثنان أو ثلاثة فقط من القادة بجهاز المخابرات.

ولكن فى اللحظة الأخيرة أخبرنى الجنرال «تالكو لينكوف» بضرورة وقف كل الأنشطة بعد أن تفجرت الفضيحة، ولم يعد هناك معنى للاستمرار فى عملية صارت معروفة للجميع، وأصبحت الأقوال والشائعات تملأ أرجاء بريطانيا عن علاقة بروفيمو بكريستين، فإذا لم يكن قد حدث من إيدجكومب العشيق الغيور لكنا قد قمنا بعملية هائلة - على حد قول الجنرال - الذى قال لى: بالرغم من ذلك لقد أصبحت بطلاً فى الاتحاد السوفيتى وتمت ترقيتك إلى رتبة أدميرال فى الأسطول السوفيتى.

استدعاء من موسكو

ويضيف إيفانوف قائلاً: بعد توقف هذه العملية بدأت أعد خططى لعمليات العام القادم، عندما دق جرس التليفون.. وكان المتحدث هو الجنرال بافلوف الذى استدعانى إلى مكتبه على الفور ليتحدث إلىّ بلهجة

عصبية وهو يقول: أعلم أنك ستصاب بخيبة أمل، لأنى تلقيت أمراً لاستدعائك لموسكو فوراً.. قلت: يالها من مفاجأة لطيفة. وكنت أحاول بذلك أن أحول المسألة إلى فكاهة برغم أن الموقف لم يكن موقف مزاح.. فسألته: ماذا حدث؟ وماهى غلطتى؟ قال الجنرال: الإدارة فى موسكو تعتقد أن فضيحة سياسية كبرى سوف تتفجر، وأنت متورط فى هذه الفضيحة كما تعرف.. لذا لابد من سحبك وإعادتك إلى موسكو، فلا مبرر لوجودك هنا فى هذه الزوبعة وابدأ على الفور فى حزم حقائبك.

واستطرد الجنرال يقول: لقد حاولت إلغاء القرار ولكن الواضح أنه لا سبيل لإيقاف الفضيحة.. كما أن الأوامر صريحة.. استعد فوراً للرحيل.. أدركت أن لا جدوى من النقاش ولابد من تنفيذ الأمر.

اتصلت بصديقى الدكتور ستيفن وارد، وخرجنا نتجول فى صمت فى حديقة هايدبارك.. وكذبت عليه عندما قلت له إن أمى مريضة وفى حالة حرجة ولابد من رحيلى إلى موسكو.. ولا أظن أنه صدق شيئاً مما قلته، إلا أنه ودعنى على الطريقة الروسية بالأحضان والقبلات، وهو يقول: أنت صديقى وستظل صديقى دائماً.. حظاً سعيداً.. واستدار كل منا متباعداً.

خدعة المطار

يروى العميل الروسى كيف أعد لرحيله بعيداً عن أعين المخابرات البريطانية ورجال الصحافة، ويقول: حصلت على تذاكر طيران على شركة إيرفلوت ـ الخطوط الجوية السوفيتية ـ وكان ذلك هو الطعم الذى ألقيت به للمخابرات والصحافة، لأنهم جميعاً عرفوا بموعد سفرى بالطائرة.. ولكن فى نفس الوقت ما إن عدت حتى اشتريت تذكرة القطار خلسة.. وسافرت

بالقطار سراً ثم بالباخرة إلى هولندا.. وبطبيعة الحال فى يوم سفرى بالطائرة احتشد المصورون والصحافيون فى مطار هيثرو ومعهم أجهزة التصوير والتسجيل وطال انتظارهم، فقد كنت عندئذ قد وصلت موسكو.

فيليبى وراء الاستدعاء

بعد عودتى إلى موسكو تقابلت مع الجنرال بافلوف الذى كان قد رُقِّى إلى نائب رئيس المخابرات العسكرية.. وتحدثنا عن عملنا فى بريطانيا.. وقال: هل تعلم من أخبرهم بقرب اكتشاف فضيحة بروفيمو ـ كريستين؟ إنه كيم فيليبى.. فسألته: ومن هو كيم فيليبى؟ قال: إنه شخص مهم وقليل من الناس يعرفونه.. وأنت أيضاً يمكنك أن تقابله إن أردت.. والحقيقة أننى لم أكن أرغب فى مقابلة هذا الشخص الذى كان سبباً فى استدعائى إلى موسكو.

أساليب قذرة بأيد نظيفة

يقول إيفانوف: إن تورطى مع كريستين الذى أصبح معروفاً من خلال تقرير لورد دييننج رئيس اللجنة التى شكلتها الحكومة البريطانية أساء إلى وضعى فى المخابرات العسكرية.. لأن المخابرات السوفيتية، الـ«كى. جى. بى»، كانت إدارة يعرف عنها ممارسة مثل هذه الأساليب القذرة. ولكن الإدارة التى كنت أتبعها، وهى إدارة المخابرات العسكرية السوفيتية كانت تدعى أنها لاتتبع إلا الأساليب النظيفة والمتحفظة، لذا فإن فضح علاقتى بكريستين أحدث انزعاجاً شديداً فى هذه الإدارة وأساء إلى موقفى مع قادة

المخابرات العسكرية، الذين لم أكن أخبرهم بطبيعة الحال بتورطى مع كريستين كعشيق لها.. وتساءل بعضهم: لماذا كانت لإيفانوف علاقة مع كريستين؟ ولماذا لم يخبر موسكو بهذه العلاقة؟

أكره كريستين

لقد كان من الممكن أن تنجح خطة توريط بروفيمو لولا أنهم عرفوا بعلاقتى الخاصة بكريستين.. لذا تم استدعائى ولم يوجه أحد الشكر لما قمت به من جهود.. لذا فإننى أكره كريستين من كل قلبى، لقد أفسدت كل شيء.. ولكنها كانت فى نفس الوقت يمكن أن تصبح الطعم الذى يمكننى من الإجابة عن الأسئلة التى كانت تمطرنى بها موسكو بطلب معلومات عن تسليم الرؤوس النووية لصواريخ بيرشينغ التى تم تطويرها فى ألمانيا الغربية.

وقد طلبت من وارد مساعدتى فى هذه المسألة وقلت له: إنك تتفق معى ياستيف أنه لايجب أن يسمح للألمان بالحصول على أسلحة نووية.. ألم تعلمنا الدروس المريرة خلال الحربين السابقتين أنه من الخطر تسليح الألمان بأسلحة فتاكة؟ فأجابنى قائلاً: إنه يعدنى بإمدادى بالمعلومات فور حصوله عليها.. وقد أمدنى بالفعل بمعلومات حول عدد الرؤوس النووية وجدوى تسليمها لألمانيا الغربية.. وقمت بإرسال هذه المعلومات إلى موسكو.

أسرار استدعاء إيفانوف

الكتب والمراجع التى تناولت ظروف استدعاء إيفانوف تمتلىء بالأسرار

التى كشفت عنها مؤخراً، خاصة بعد صدور كتابه.. وقد ثبت أن إدارة المخابرات العسكرية استاءت لعلاقته بكريستين وعدم مصارحة رئاسته بذلك، لذا لدى عودته لم يعامل معاملة الأبطال، وعرف أنه وضع تحت التحفظ فى منزله وفصل من المخابرات العسكرية ومن الحزب الشيوعى.

جريدة فرانس - سوار الباريسية كتبت تقول إن العقيد بنكوفسكى الروسى الذى حوكم وأعدم فى موسكو بعدما عرف أنه عميل أمريكى، كان قد أبلغ الأمريكيين أن العميل الروسى إيفانوف الجاسوس الموجود فى لندن له علاقة مباشرة بوزير الحرب البريطانى جون بروفيمو.. ولعل الخطأ الذى وقع فيه إيفانوف - فيما كشف أخيراً - أنه كان قد صارح زميله بنكوفسكى فى وقت أو فى آخر بسر عملية بروفيمو، فنقلها الأخير إلى الأمريكيين.

عميل مزدوج

من المعروف أن الجاسوس «أوليج بنكوفسكى» كان من ضباط المخابرات السوفيتية وعميلاً مزدوجاً لحساب الغرب، لأنه لم يكن مقتنعاً بالنظام الشيوعى ولا بقيادة خروشوف، فقد كان يعتقد أنه زعيم خطر يمكن أن يتسبب فى قيام حرب نووية.. وانتهز فرص سفره على رأس وفد تجارى ليتصل بالمخابرات الغربية فى لندن.. وتعاون بعد ذلك مع المخابرات البريطانية والأمريكية.. ووافق على أن يعمل لحسابهم.. ونقل إليهم أخباراً بالغة الأهمية.

لعل من أهم المعلومات التى نقلها هذا الجاسوس تلك المتعلقة بحجم الصواريخ السوفيتية وعددها!.. وهى المعلومات التى نقلت مباشرة إلى جون كيندى، والتى جعلته يخاطر ويتحدى السوفييت فى أزمة كوبا عام ١٩٦٢،

واتخـاذ ذلك الموقف الذى جـعل خـرشـوف يـذعن لمطالب أمـريكا ويـسـحب صـواريخـه من كوبا .. لذا، فالاحـتـمالات قـوية فى أن يكون قد كـشف سر إيفـانوف للمخـابرات البريطـانيـة، وأن المخـابـرات السوفيـتيـة عندما شـعرت بذلك سارعت بسجنه .

بروفيمو.. والمشروع البرىء

والتـفسيـرات كثيـرة ومتـضاربة، ولعل أغربها تلك التـى نشرت وتقول إن بروفيمو كان يعرف بما يدور من حوله وأنه كان يود أن يوقع إيفانوف فى المصيدة، بل كان يعتزم هو وجهاز المخابرات الخاص به تجنيد إيفانوف فى نفس الوقت الذى كـان إيفـانوف يـسـعى لتـجنيـده، لأن وزيـر الحـرب كـان منزعجاً بسبب المعلومات التى تتسرب إلى السوفييت، وترك رأسه ليدخل فم الأسـد فى سبـيل إكـمـال خطـة المخـابـرات البـريطانيـة للإيقـاع بالجـاسـوس الروسى .

متى يتكلم بروفيمو؟

ولعل هذا يفسـر مـا قـاله مـاكـمـيـلان، الذى قـال فى خطابه أمـام مـجلس العموم البـريطانى: من الأكيـد أن إدارة مكافحـة التـجسس البريطانيـة كـانت تعرف مـايدور، ولكنهـا لسبب أو لآخـر لم تـخبـره، وخـاصـة أنه قـال عبـارة غريبـة فى خطبته: «لقد كـانت المخابرات البريطانيـة تتصرف وكأنها تعرف كل شىء .. بل وكأنهم يعرفون مبررات الوزير ويوافقونه عليها» .

ولكن سـيظل هذا الجـانب لغـزاً حـتـى يكتب جـون بـروفـيـمـو مـذكـراته .. وعندئذ قد نعرف الكثير من خلال الوجه الآخر لهذه العملية .

الفصل العاشر

كريستين كيلر تروى بعض ذكرياتها بعد ٣٠ سنة من الفضيحة

عودة إلى الأضواء

رغم الثلاثين عاماً التى انقضت منذ خروج كريستين كيلر من السجن بعد قضائها تسعة أشهر وراء القضبان بتهمة الشهادة الزور، لم تسدل عليها ستائر النسيان، إذ ظلت تطل على القراء من خلال ما كان يكتب عنها، سواء بشكل مباشر أو من خلال التطرق إلى أحداث الجاسوسية فى مناسبات أخرى مماثلة، وإلى أنشطة جهاز المخابرات السوفيتية وأساليبه فى التسلل إلى أدق الأسرار وطرقه فى تجنيد العملاء والوصول إلى مصادر المعلومات باستخدام عوامل الجنس والإغراء وغيرها من الأساليب التى اشتهر بها جهاز المخابرات السوفيتية..

حديث عن الماضى

لقد أجرت إحدى المجلات البريطانية لقاءً صحفياً مع كريستين كيلر نشر فى مجلة صادرة فى ديسمبر ١٩٩٤، تطرقت فيه إلى حياتها اليوم وحاضرها، وتكلمت عن ماضيها بكل ما فيه من فضائح وسلبيات.. وعبرت أيضاً عن خوفها من مستقبل تعانى فيه أحاسيس الوحشة والفراغ..

تناولت كريستين سيجارة بنفس طريقتها المستهترة التى اشتهرت بها، ولكنها اليوم قد راح عنها ذلك الوميض الجذاب الذى كان يحيط بها فى شبابها، وهى تستعد للإجابة عن سؤال الصحفى عن كيف تقضى وقتها الآن؟..

قالت كريستين كيلر:

- اليوم لا أفعل شيئاً سوى حل الكلمات المتقاطعة التى تنشرها جريدة التايمز أو أشاهد التليفزيون.. مازال لى عدد من الأصدقاء، وهم الدائرة الضيقة التى أتحرك خلالها، ولكن كل اهتمامى وسعادتى هى عندما أجلس

إلى ابنى سيمور.. فهو الآن فى الثانية والعشرين.. وتأكدوا أننى لم أعد المرأة المستهترة التى كنتم تعرفونها..

تقول كريستين كيلر:

- «نعم كانت هناك أحداث ساخنة تداخل فيها الجنس والسلطة والتجسس، ولكننى اليوم - وبعد ثلاثين عاماً - أصبح من حقى أن أتحدث عن كل شىء».

فهى الآن مستفيدة من القاعدة القانونية التى تبيح التحدث عن كل الأسرار المتعلقة بالدولة بعد انقضاء ثلاثين عاماً، إذ لا تعد عندئذ من الأسرار التى تهدد أمن الدولة.. وتقول إن كتابها الذى سيصدر قريباً سيوضح كيف أن حكومة ماكميلان جعلت منها ومن ستيفن وارد كبشى الفداء للتضحية بهما فى هذه الأزمة السياسية والأخلاقية، والتى كانت سبباً فى سقوط حزب المحافظين من الحكم بعد ١٣ عاماً متتالية، كان الحزب فيها هو الذى يسيّر دفة الحياة السياسية فى بريطانيا.

حديث صريح

تتحدث كريستين كيلر بصراحة ودون مواربة أو إخفاء عن علاقتها بالملحق العسكرى للسفارة الروسية فى لندن «أوجين إيفانوف»، وعن علاقتها بوزير الحرب البريطانى «جون بروفيمو» عندما كانت عشيقة لكل منهما فى هذه العملية، التى كانت فيها جاسوسة للسوفييت تسرق الأسرار الدفاعية البريطانية لتصل فى النهاية إلى الكرملين..

تقول كريستين كيلر أنه فى شهر ديسمبر ١٩٩٤ تكون قد انقضت ثلاثون

عاماً على خروجها من السجن.. وهى اليوم أكبر سناً وأكثر حكمة.. فلم تعد فتاة الاستعراض أو الفتاة البراقة الحسناء التى سحرت وزير الحرب بروفيمو..

وتقول كريستين:

- «خلال هذه السنوات تزوجت وطلقت مرتين.. ومن عام ١٩٧٧ حتى الآن ليس لى علاقة زوجية بأى من الرجال».

كانت كريستين كيلر قد تزوجت لأول مرة عام ١٩٦٥ من أحد عمال البناء، يدعى «جيمس ليفرمور»، الذى أنجبت منه ابنها «جيمى»، وتركته لتربيه والدتها.

الزواج الثانى فى حياة كريستين كيلر كان عام ١٩٧١ .. وكان زوجها رجلاً ثرياً، مدير إحدى الشركات، وهو والد ابنها الثانى «سيمور» - ٢٢ سنة - الذى كان يقيم معها حتى أكتوبر ١٩٩٤ ..

سنوات صعبة

تستعيد كريستين كيلر ذكريات الثلاثين عاماً التى انقضت منذ خروجها من السجن الذى لم تدخله بتهمة الجاسوسية بل بتهمة سوء السلوك والشهادة الكاذبة.. وتتحدث عن قسوة السنين معها.. فقد ظلت تحتفظ بقامتها النحيفة التى كانت عليها عام ١٩٦٣، وهو العام الذى شهد مولد فريق الخنافس والعديد من الرموز الاجتماعية الجديدة.. وهو أيضاً العام الذى التقط فيه المصور الفوتوغرافى الشهير موريس أورلى صورة عارية لها لايسترها فيها سوى ظهر مقعد..

فضيحـــة

اخـتـارت كـريـسـتين كـيلر لمذكـراتـهـا الشـخـصـيـة عنوانا مـعـبـراً، وهو «فضيحة».. وكانت قد نشرت هذه المذكرات عـام ١٩٧٨، وأعادت لها هذه المذكرات الشهرة، بل والثروة أيضاً.. فبعد حياة الفقر التى كانت تعانى منها وهى نسكن فى شقـة حكومـيـة اسـتطاعت أن تسـتـغل دخل هـذه المذكـرات لتشترى منزلاً صغيراً فى إحدى ضواحى جنوب لندن.

كـان أيضاً نفس العنوان، وهو «فضيحـة»، هو اسم الفـيلم الذى صور عـام ١٩٨٩، ليتناول أحداث قضية الجاسوسية، وقد مثلت دورها فى هذا الفيلم الممثلة «جوان واليكيلمر»، وقام بدور وزير الحرب بروفيمو الممثل «إيان ماكلين».. ومثل دور الطبيب ستيفن وارد الممثل «جون هيرت».. أما زميلتها فى هذه الأحداث الساخنة مارلين رايز ديفيز، فقد مثلتها الممثلة «بريجيت فوندا».. وقد أعادها هذا الفيلم إلى الأضواء مرة أخرى.

تعترف كريستين كيلر أنها عاشت تعانى من الفقر والعوز، بل ومازالت حتى الآن فقيرة.. ولكنها تتطلع إلى الدخل الذى سيعود عليها من كتابها الجديد الذى طرح مؤخراً فى الأسواق وعنوانه «مسألة أمن»، والذى يدور حول قضية بروفيمو، من أنه سيعود عليها بدخل ينقذها من الفقر..

وتقول كريستين:

- «إن مشكلتى الحالية أن أفكر وأحاول الإجابة عن سؤال: من أين سيأتى الجنيه القادم؟».

وتضيف كـريستين أن الألمان ظلوا على اتصال بها طوال العامين أو الثلاثة الماضية.. وتقول فى همس:

- «إنهم يحبون أن يشاهدونى فى استعراضاتهم التليفزيونية.. ولا أعرف لماذا يحبوننى ؟.. ولكن هذا هو الواقع. لقد كانت السبعينيات أسوأ من الثمانينيات.. ففى هذه الفترة عانى ابنى سيمور من التشرد والضياع بعد طلاقى من والده.. وأصبحنا نعيش أنا وهو منفصلين.. ولم يكن لى محل إقامة.. أغتسل فى إحدى المدارس.. وأعمل فى أحد محلات الغسل والكى.. ولكنى رفضت أن أصبح من العاهرات»..

مسميات مغلوطة

تشير كريستين كيلر إلى المسميات التى أطلقت عليها، وكانت عديدة منها: «العاهرة» و«فتاة الليل» و«فتاة الرذيلة»، ولكنها تستعيد فى ذاكرتها طفولتها التعسة فى مدينة ويرزبيرى، إحدى المدن الصغيرة فى منطقة وادى نهر التيمس عندما تركت بيت أسرتها وانتقلت إلى لندن تبحث عن عمل حتى عملت فى أحد الملاهى الليلية.. وهناك التقت بالطبيب المشهور ستيفن وارد، الذى كان من الرواد الدائمين لهذا النادى الليلى، وبدأت علاقتها به حتى أنها انتقلت إلى بيته لتسكن معه.

لقـــاء بروفيمـــو

كان الدكتور ستيفن وارد قد قدمها هى وصديقتها مارلين رايز ديفيز، التى كانت تعمل معها فى نفس النادى، قدمهما إلى معارفه من الصفوة أصحاب النفوذ والشخصيات الهامة الذين كان على علاقة بهم.. وعندئذ كان لقاؤها بوزير الحرب فى حكومة المحافظين جون بروفيمو لتبدأ بينهما علاقة خاصة بعد أن شاهدها تسبح عارية فى حفل يضم مجموعة من

العراة نزلوا إلى حمام السباحة فى قصر لورد استور وسط إقطاعيته الواسعة المعروفة باسم إقطاعية كليفدن.. وكانت تلك هى البداية للأحداث الساخنة التى انتهت باعتزال بروفيمو السياسة واستقالته من منصبه واتهام الدكتور ستيفن وارد بالتكسب من مصادر غير مشروعة وغير أخلاقية، انتهت به إلى الانتحار..

دفـــــاع

تنفى كريستين كيلر عن نفسها - رغم ذلك - تهمة الدعارة، وتقول: لا.. لم أكن عاهرة.. كل مافى الأمر أننى كنت فتاة طائشة مستهترة.. ولكن لم تكن الدعارة مصدر كسب لى.. فعندما كنت أعيش مع الدكتور ستيفن كان ذلك بسبب عاطفة الحب التى جمعت بيننا.. ولكن أعترف أيضاً أننى عندما كنت مع صديقتى مارلين كانت لنا علاقات برجال آخرين، كما كانت لنا تجربتنا مع المخدرات.

كان ذلك عندما تركت الدكتور ستيفن لثلاثة أسابيع.. ولكننى عندما أتحدث عن رجال آخرين، فإن هذا لايتعدى علاقتى بخمسة رجال خلال هذه الفترة.. ولا أظن أننى أعتبر بذلك عاهرة.. فالعاهرات يتكسبن من علاقتهن مع الرجال كأسلوب لكسب العيش.. ولا أظن أننى تناولت أجراً من أحد سوى لمدة ثلاثة أسابيع عندما كنت لا أجد مصدراً آخر للنقود.. وكانت تلك هى الفترة الوحيدة التى قبضت فيها ثمناً لعلاقتى بأحد.

مكاسب للآخرين

تقول كريستين كيلر إنها قد كتبت كتاباً جديداً لترد فيه على ما أثاره

الآخرون من أكاذيب مختلقة تتعلق بحياتها، ظلت تتردد طوال الثلاثين عاماً الماضية، وتضيف:

- «لقد كانت قصتي بكل ما فيها من مآسٍ مصدر ثراء للجميع.. إلا أنا.. لذا فإن كتابي الجديد يستهدف أن أدافع عن اسمي وأكذب كل ما نسب إليّ من أمور غير صحيحة، كانت معظمها مختلقة لا علاقة لها بالواقع..

من بين هذه الأكاذيب، تلك التي تقولها امرأة لم أقابلها سوى مرة واحدة من خلال الدكتور ستيفن وارد.. تقول إنها كانت تصطحبني معها في حفلات ماجنة تضم أعضاء في البرلمان وقضاة ورجال أعمال، وأنني كنت غارقة في هذه الدعارة حتى أذنيّ.. ولكن هذه المرأة لم تكن لي بها أية علاقة ولم أصادقها ولم أعرفها إلا في لقاء عابر لم يدم إلا بضع دقائق..

مارلين فتاة من نوع آخر

تصر كريستين- من خلال كتابها- أن توضح أنها تختلف عن زميلتها في هذه الفضيحة مارلين رايز ديفيز، التي كانت أحسن حظاً من كريستين، لأنها مارست التمثيل.. وكان لها دور في فيلم «المبتدئين».

وتقول كريستين:

- «إن مارلين كانت في اللعبة قبلي.. فهي أكثر خبرة مني في هذه المجالات.. إلا أنها كانت أكثر ذكاء.. إذ استطاعت أن توقع في حبالها أحد أصحاب الملايين.. وهو كولين فورمان لتتزوج منه، في الوقت الذي كنت أنا فيه أعاني من القلق بسبب سوء حالتي المالية وعدم توفير الأموال لسداد أقساط بيتي»..

ثراء لفترة محدودة

فى الوقت الذى تحسد فيه كريستين كيلر زميلتها فى الفضيحة مارلين رايز ديفيز، فهى تعترف بأنها عاشت السعادة والثراء، ولكن لفترة وجيزة ذاقت فيها طعم الغنى، عندما كانت لها مديرة منزل ومربية أطفال وخادمة للطهى والنظافة.. ولكن هذا لم يستمر أكثر من ثلاثة أشهر..

وتقول كريستين: «لكنى لا أندم على ضياع ذلك.. فقد أصبح لى الآن بيتى الخاص».

التجسس

خلال حديث الذكريات تتطرق كريستين كيلر إلى تجربة التجسس التى عاشتها، وتقول:

ـ «كنت بالفعل أتجسس مع الدكتور ستيفن وارد ونقدم ما نحصل عليه إلى الملحق العسكرى السوفيتى.. إلا أننى فى الواقع لم أكن أعرف حقيقة ما أقوم به..

كنت أسكن مع الدكتور ستيفن فى بيته وأنا فى السابعة عشرة من العمر.. كنت أعرف أيضاً أن ميوله الشيوعية التى كنت أجدها ذات معنى بالنسبة لى، فقد كنت فى هذه السن أصدق مايقول.. فلم تكن لى تجربة فى الحياة، ولم أكن قد سمعت عن شىء من هذا القبيل إلا من خلاله.. كما اشتركت فى جلسات كان يناقش فيها أوجى إيفانوف فى أمور بالغة السرية.. إلا أننى لم أكن أشترك فى هذا النقاش حتى شعرت فجأة أن حياتى قد أصبحت عرضة للخطر لأننى أعرف أكثر مما يجب.. وعندئذ قرر ستيفن وارد أن يتخلص منى..

اختار دكتور ستيفن وسيلة خبيثة للتخلص منى، وذلك عندما اصطحبنى إلى منطقة بادنجتون، حيث كان قد رتب كل شيء مع ذلك الشاب الأسود من أبناء جزر الهند الغربية، لاكى جوردون، الذى كانت له ١٧ سابقة..

لا أريد أن أتكلم كثيراً عن لاكى جوردون لأنه مازال حياً وليس بعيداً عنى حتى الآن.. إنه رجل مختل العقل.. ويؤلمنى حتى اليوم ما كان يردده من أنه كان صديقى أنا ومارلين.. فالحقيقة أنه كان قد استأجره ستيفن ليغتصبنى ويقتلنى للتخلص منى..

الفضل فى إنقاذى كان لوزير الحرب جون بروفيمو، لأن ستيفن عندما رآه وتعرف عليه تبين أنه مازال فى حاجة إلىّ.. فعدل عن فكرة قتلى عندما خطرت له فكرة استخدامى للحصول على المعلومات التى ينقلها إلى الملحق العسكرى أوجين إيفانوف.. فقد كنت بالنسبة لهم الطعم الذى يغرى السمكة الكبيرة..

إكـــــراه

لقد تعرضت لضغوط كبيرة من أوجين وستيفن للحصول على معلومات من بروفيمو، فصرخت فيهما محتجة أطلب منهما ألا يزجا بى فى هذه اللعبة، وقلت لهما: لا.. اتركانى فى حالى.. لن أفيدكما كثيراً.. ولن أستطيع أن أفعل شيئاً..

لكن لا تنسوا أننى كنت أحب ستيفن وارد.. كنت كما ذكرت فى ذلك الوقت فى التاسعة عشرة من العمر.. ولم أجد أن علاقتى ببروفيمو خيانة لستيفن.. فهو الذى يريد ذلك ويريد المعلومات بأى ثمن،..

طفولة ضائعة

تقفز كريستين كيلر لتعود للخلف لسنوات طويلة، وقد اختلطت الذكريات وهى تتحدث عن طفولتها، فتقول:

- لم أعرف فى حياتى طعم الحب أو الحنان.. كانت حياتى كلها مآسٍ، وكانت البداية بالنسبة لى عندما وجدت زوج أمى يعبر لى عن غرامه ورغبته فىّ.. بينما كنت لازلت فتاة فى الثانية عشرة..

أما أمى فلم تكن علاقتى بها علاقة طيبة فى يوم من الأيام.. ولعل الشىء الوحيد الذى فعلته لصالحى هو أنها تبنت ابنى الأول «جيمى» بعد انفصالى عن والده بالطلاق.. ولكنها ظلت تلقن ابنى الأكاذيب عنى لأنها أرادت أن تبعدنى عنه.. وبالفعل انفصل جيمى عنى ولم تعد تربطنى به علاقة.. وصرت أعيش بعد ذلك مع ابنى سيمور، الذى أنجبته من زواجى الثانى..

بدأ الخلاف بينى وبين والدتى عندما لم أكن قادرة على أن أعطيها نقوداً، كنت قبل ذلك لا أبخل عليها بشىء.. فقبل هذه الفضيحة كنت أصطحبها فى العطلات واشتريت لها بيتاً صغيراً وجهاز تليفزيون.. ولكن عندما بدأت أدخر لأشترى لنفسى بيتاً يضمنى أنا وابنى، لم أعد قادرة على أن ألبى مطالبها أو أعطيها ماتريد من المال.. عندئذ بدأت كراهيتها لى.. وتوقف الاتصال بيننا رغم أننى كنت أرسل لها بطاقات بريدية وأكتب لها خطابات، إلا أنها لم ترد على خطاب واحد منى.. وهكذا تقلصت عائلتى لتقتصر علىّ أنا وابنى سيمور، ولكننى لم أتخلص من إحساس المرارة نحو أمى التى كانت تريد دائماً إيذائى..

غـيرة النســاء

إن مـا حـدث أثناء فـضـيـحـة بروفـيـمـو جـعلنى أشعـر بفـقـدان الأمـان.. والأصعب من ذلك كانت أحاسيس الغيرة.. فكل النساء كن يشعرن بالغيرة منى.. وكنت بدورى أعرف أخطار علاقات النساء بالرجال.. وكنت أخشى أن تنتـقم منى إحـدى النسـاء وتسـتولى على زوجى.. فلم أكن لأتركـه يغيب عن نظرى.. ولعل هذا هو سبب فشلى فى زواجى.

مشاكل من نوع خاص

سئلت كريستين كيلر فى هذا التـحقيق الصحـفى إذا كان هناك رجـال فى حياتها الآن؟

فقالت:

- لى أصـدقـاء من الرجـال.. ولكن لا أحـرص على اسـتـمـرار عـلاقـتى بأحـد، ولعل مـشكلتى الآن ليست هـى البحـث عن صـديق، بل التـخلص من الأصدقاء غير المرغوب فيهم..

كـانت أطول علاقـة لى برجل، عـلاقة استـمرت سنتين على الأكثر.. لذا فإن مـايحـزننى الآن هو إدراكى أننى سأجـد نـفسى بلا رفـيق أو صـديق، فلم أعد قادرة على الاحتفاظ بصداقة أحد.. أشك فى كل الرجـال، فقد أصبحت امـرأة لا تطاق.. وأظن أننى أزداد سوءاً كلما تـقدم بى العمـر، رغم أننى كنت أتمنى أن أجـد رجـلاً إلى جـانبى وأنا فى طريقى إلى الشـيخـوخـة، إلا أن هذا الأمل يبدو أنه لن يتحقق.

نظرة إلى الماضى

لا تستطيع كريستين كيلر أن تبتعد كثيراً عن الأحداث الساخنة التى عاشتها فى فضيحة بروفيمو، حتى عندما تتكلم عن نفسها ومشكلاتها الحالية، إذ تقفز فجأة إلى الماضى لتقول:

ـ «لقد أخطأ جون بروفيمو.. كان عليه أن يتحدث إلى رئيس الوزراء ماكميلان.. ولو أنه فعل ذلك لتجنب الكثير من المتاعب.. ولكنه اعتقد أنه يستطيع أن يحتوى المشكلة بطريقته الخاصة.. فكذب على رئيس الوزراء وعلى مجلس العموم البريطانى ووضع نفسه فى موضع بالغ الصعوبة..

لا أعتقد أنه خسر الكثير.. فهو فى الواقع واحد من أغنى الرجال فى بريطانيا، فقد كان يملك ٩ ملايين جنيه عندما التقيت به.. كان باروناً.. أما أنا فكنت شيئاً ضعيفاً فى حياته.. كنت الضحية الحقيقية».

انزعجت كريستين كيلر للسؤال التالى الذى وجه إليها فى هذا الحديث عن ذكريات الماضى.. وكان السؤال: هل ساعدك بروفيمو مالياً بعد ذلك؟

صرخت كريستين كيلر وهى تقول: «لا.. ولم أره بعد ذلك مرة واحدة».

مسألة أمن

ولما سئلت عن مشاعرها نحوه الآن.. تنهدت وهى تقول:

ـ إننى حزينة من أجله ومن أجلى.. حزينة أن أعرف أن القدر دفع بنا

سوياً إلى هذا الطريق، ولكن مايحزننى أكثر من أى شيء آخر هو أنه ليس هناك من يريد أن يذكر الحقيقة.. فالحقيقة أكثر إحراجاً، ولهذا فإننى سأقول كل شيء وسأذكر الحقيقة فى كتابى «مسألة أمن».. صحيح أننى الآن فى وضع أفضل بكثير مما كنت عليه فى الماضى.. ولكننى الآن أدفع ثمن أخطائى.. لقد كان يفيدنى جمالى كثيراً لو أننى أحسنت استغلاله وتزوجت من رجل غنى يكفل لى حياة ناجحة سعيدة.. لكننى الآن أعيش على الهامش كامرأة ضائعة.

نـــدم

تقول كريستين كيلر فى النهاية:

- قد لاتصدقون أننى فى طبيعتى امرأة خجولة.. ولكن كيف حدث هذا معى؟ لا أعرف.. لعلى كنت أثق فى الآخرين أكثر مما يجب، أو لعل ذلك كله بسبب قلة خبرتى التى أدت بى إلى هذه المشاكل.. إلا أننى فى نفس الوقت لا أستسلم بسهولة، وعلىّ أن أجابه الواقع الذى أعيشه اليوم وأن أتحمل نظرة المجتمع لى، الذى ينظر لى باعتبارى عاهرة.. إلا أننى فى الواقع ضقت ذرعاً بهذا الموقف ولم أعد أتحمله أكثر من ذلك..

لم يكن الخطأ هو خطئى أنا.. ماذا يمكن أن تفعل فى حياتك إذا كنت لا تعرف شيئاً عن الحياة؟.. لقد وجدت نفسى فى مفترق الطرق وسط رجال أقوياء لهم مصالح متضاربة لقضايا لايمكن أن تلم بها فتاة فى سنى.. ولكننى الآن أدفع الثمن.. أحاول أن أغطى أخطاء الماضى.. وفى الواقع أحاول أن أغطى حياتى كلها..

أتمنى عندما أموت أن توضع على قبرى لوحة رخامية كتب عليها: «هنا ترقد امرأة حرمت من حقوقها الإنسانية».. فمازلت لا أعرف سبب هذا الموقف الذى أعانى منه حتى الآن..

لقد فقدت الأمل فى أن أجد رجلاً يتفهم مشكلاتى ويعيش معى بقية حياتى.. أعرف أننى سأقضى بقية عمرى وحيدة لا أعرف دفء الأسرة أو السعادة حتى آخر يوم فى حياتى.. وهذا هو الثمن.

کریستین کیلر

کریستین کیلر وزمیلتها ماندی رایز



الدكتور ستيفن وارد بعد القاء القبض عليه

مارلين ديفيز فى لقطتين



جون ليدجكومى واليسيوس جوردون عند
استدعائهما للتحقيق

الشباب ـ والاغراء مصيده لوزير الحرب بروفيمو

جورج ويج عضو مجلس العموم العمالى
الذى فجر العموم العمالى الذى فجر فضيح
ةبروفيمو



أشهر فضيحة سياسية فى القرن العشرين يفتح ملفها من جديد لتعود إلى الأضواء مرة أخرى بكل ما شهدته من صراع بين السياسة والانحراف والتجسس والخلافات السياسية . . فضيحة امتزجت بالأكاذيب وكشفت عن الفساد الذى يختفى وراء واجهة المظاهر . . فضيحة كريستين كيلر هى فضيحة فتاة الليل اللعوب التى أطاحت بوزير الحرب البريطانى البارز جون بروفيمو وأدت فى النهاية إلى استقالة حكومة هارولد ماكميلان ودفعت حزب المحافظين لسنوات فى الظل . . بدأت الأحداث بست طلقات دوت ليلا فى أحد الأحياء الهادئة فى لندن وانتهت بتحطيم حكومة بأكملها .

مدبولى الصغير

مدبولى الصغير
٤٥ ش البطل أحمد عبد العزيز ت : ٣٤٧٧٤١٠ — ميدان سفنكس خلف سينما سفنكس ت : ٣٤٦٣٥٣٥


حصريات
مجلة
الابتسامة